الفصل الخامس

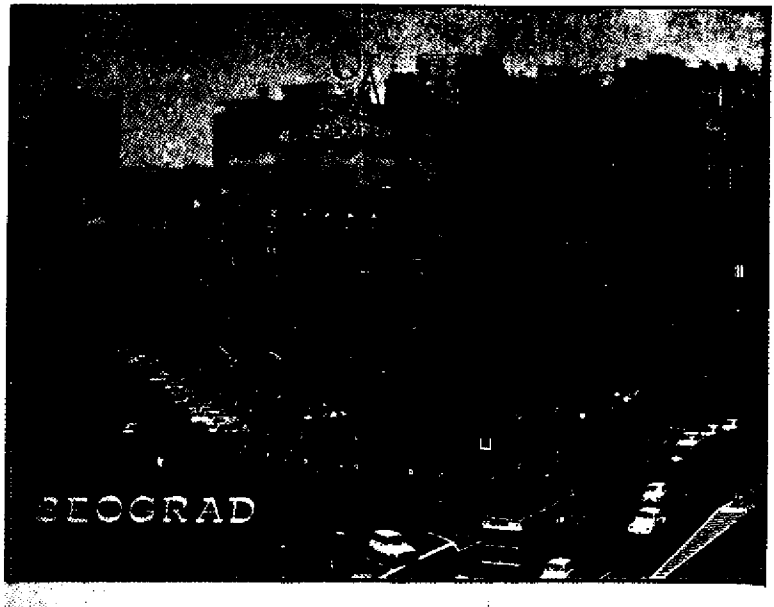

بلغراد

- بلغراد الاسلامية ومأساتها
- سراجيفو عاصمة البوسنة والهرسك: تاريخها تطوراتها، ومأساتها
- مدن اسلامية في جمهوريات يوغسلافيا السابقة

سراجيفو

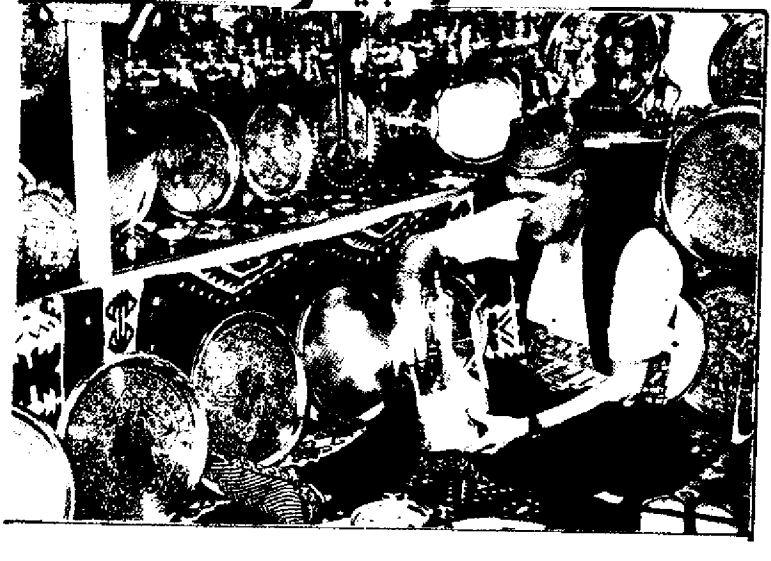

بلغراد

تعريفها تاريخياً:

بلغراد ومعناها «المدينة البيضاء» واسمها القديم «سنجيدونو[1] .»... وهي العاصمة (الاتحادية)، وكبرى مدن يوغسلافيا، كما أنها عاصمة «صربيا»SERBIA أكبر جمهورية اتحادية داخل يوغسلافيا ـ سابقاً ـ.

نمت بلغراد منذ عام ١٣٣٩/ ١٣٤٠هـ «١٩٢١ م»، من بلدة صغيرة، الى مدينة أوروبية حديثة ذات مبان كبيرة، وشوارع واسعة، ومتنزهات عديدة، وتضطلع بوظائف إدارية وتجارية وصناعية هامة[2].

تقع بلغراد عند ملتقي نهري : الدانوب وسافا، وهي ميناء نهري، وملتقى الطرق والسكك الحديدية.

أمتاز الموقع الذي تقوم عليه بلغراد بأهمية كبيرة ، على اعتباره بوابة البلقان، التي تتحكم بعقدة مواصلات حيوية، للغرب في اتجاه البلقان والشرق، وللشرق في اتجاه الغرب.

---

(١) انظر: دائرة المعارف/ بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت ـ بلا تاريخ (ص٥٦٨ ـ م ٥).

(٢) انظر: موسوعة المعرفة ـ توزيع الشركة الشرقية للمطبوعات ١٩٨٥ م (شركة مساهمة)، (م٨/ ص١٣٤٧).

أهميتها العسكرية :

وقد برزت أهمية الموقع الذي تقوم عليه بلغراد في القرن الخامس عشر ـ مثلا ـ في ذروة الحرب بين الأمبراطورية العثمانية والمجر التي كانت قد أنعشت ـ من جديد ـ الروح الصليبية في أوروبا، وتطورت الى حرب بين الاسلام والمسيحية ـ لكن على الأرض الأوربية هذه المرّة ـ فخلال هذا القرن، كانت بلغراد ـ القلعة الحدودية للمجر، وقد تحولت الى «حصن المسيحية»، وأصبحت رمزاً يعني الكثير لكل أوروبا، في صموده، أو سقوطه[٣].

.... نشبت حروب كثيرة بين الدولة العثمانية والدولة المجرية من أجل الاستيلاء على «بلغراد»، حاصرها لأول مرة «علي بك» ... عام «٨٥٤ هـ ١٤٥١ م»، في عهد السلطان «مراد الثاني»، وأحاط بها... ولكن المجر أمدتها بالمساعدة ودافع عنها «زوان ZOAN» ـ اسقف راغوسة ـ (دوبروفنيك)، فاستطاعت مقاومة الحصار ستة أشهر، الى ان تدخل ملك بولندة «فلادسلاوس Wladislaus» في الأمر، وخلّصها من الحصار.

وأعدّ السلطان «محمد الثاني» (الفاتح) عام «٨٦٠ هـ ١٤٥٦ م» العدة للاستيلاء على بلغراد، وجمع لذلك مايربو على ثلاثمائة مدفع، بيد أن هذه الحملة التي قادها السلطان بنفسه، لم تُجدِ.. ولم يستولِ العثمانيون على قلعتها إلا في عهد السلطان «سليمان الأول» (القانوني)، وكان ذلك في الخامس والعشرين من شهر رمضان عام «٩٢٧ هـ ٢٩ آب ١٥٢١ م» واضطرت المدينة للتسليم؛ لنفاذ المؤونة[٤].

وقد اتضحت الأهمية الفائقة لموقع بلغراد.. بعد سقوط هذا الموقع في

---

(٣) انظر: موسوعة عالم البلدان ـ أوروبا الشرقية ـ دار الراتب الجامعية، بيروت ١٩٨٨ (م٥ ص ٦٩).

(٤) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م٤ ، ص١٠٥).

يد العثمانيين... إذ تحوّل «حصن المسيحية» الى «دار الجهاد»، ومنه تابع العثمانيون اختراقهم لأوروبا، حتى وصلوا الى اسوار فيينا سنة ٩٣٥هـ «١٥٢٩م»، وخلال الحكم العثماني الطويل ٩٢٧ - ١٢٨٤هـ «١٥٢١ - ١٨٦٧م»، وخاصة في الفترة الأولى من ٩٢٧ - ١٠٧٨هـ «١٥٢١ - ١٦٨٩ م»، توفر الاستقرار لهذا الموقع، وتحولت بلغراد من قلعة، الى واحدة من أكبر المدن في أوروبا الشرقية، وفي الواقع ، نشأت خارج القلعة، مدينة جديدة، ازدهرت كنموذج للمدينة الاسلامية، وشكلت نموذجاً حضارياً متقدماً بالنسبة للوسط الأوروبي. ومع هذا الأزدهار. الذي صاحبه نموّ المدن الأخرى في البلقان في ظل الحكم العثماني.... أصبحت بلغراد «بوابة الشرق» بالنسبة للأوروبيين الغربيين الذي كانوا يشعرون عند وصولهم الى بلغراد، بعبورهم الى الشرق..

وبعد هذا الازدهار، الذي أصبحت فيه بلغراد، تُشبّهُ بدمشق، جاءت حرب الاسترداد لتقضي على بلغراد تدريجياً كرمز للنموذج الحضاري الشرقي الاسلامي في أوروبا[٥].

سكان بلغراد:

كان سكان بلغراد المسلمون - وغالبيتهم من البلقان - من البوسنويين والألبان الذين اعتنقوا الاسلام بعد الفتح ا لعثماني لألبانيا والبوسنة.

.... وكان المسلمون في بلغراد متمسكين بالدين - كما يصفهم الرحالة التركي «أوليا جلبي[٦].» الذي اختلط معهم خلال اقامته في المدينة - بلغراد

---

(٥) انظر: موسوعة عالم البلدان (م،٥ ص٥ و ٦).

(٦) أوليا جلبي: محمد ظلّي بن درويش،رحّالة تركي مسلم ، قضى (٤٤) عاما في (٢٣) دولة، .. بدأ رحلته في القرن السابع عشر، من استانبول وشملت ثلاثا وعشرين دولة من الدول المعروفة اليوم وهي : تركيا، روسيا، ألبانيا، بلغاريا، =

ـ وكانوا كلّهم يتبعون المذهب الحنفي، وقد أشاد «جلبي» بنساء المدينة، ووصفهن بأنهن «كن متدينات، وعفيفات»، مثل رابعة العدوية، وقد كان لهذا التمسك بالدين أثره على الفصل بين الرجل والمرأة في المجتمع، حتى أن الفتيات ـ كما يذكر الجلبي ـ «كن لايرين وجه رجل، ولايسمع صوتهن أحد، باستثناء والدهن».

... وفي عام «١٠٩٩ هـ ١٦٨٨ م»، حاصر جند الأمبراطور ـ النمساوي ـ مدينة بلغراد القديمة، وسلمها اليهم حاكمها «تركي يكن عثمان» بلا قتال، استعادها بعد ذلك بعامين، الصدر الأعظم «كوريللي مصطفى باشا»... وحاولت القوات الأمبراطورية للنمسا استعادتها عام «١١٠٥ هـ ١٦٩٣ م»، ولكن دون جدوى.

وبعد ذلك بخمسة أعوام، دمّر الحريق مدينة بلغراد، وكان ذلك في الخامس من جمادى الأولى عام ١١١٠ هـ ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٦٩٨ م»، وظهرت الفرق الأمبراطورية أمام المدينة، عقب انتصار الأمير «يوجين EUGENE» في وقعة «بيتر فردين PETER WORDEIN» في شعبان ١١٢٨هـ «١٥ آغسطس (آب) ١٧١٦م)، وحاول (العثمانيون) إبعادهم،

= اليونان، رومانيا، يوغسلافيا، المجر، تشيكوسلوفاكيا، النمسا، بولندا، ايران، العراق، سوريا، لبنان، الاردن، فلسطين، مصر، السودان، السعودية، الحبشة، جيبوتي، والصومال. وقد ترجمت هذه الرحلة الى: الألمانية، الروسية، الانكليزية، الفرنسية، المجرية، البلغارية، الصربية، اليونانية، والأرمنية، وظهرت ترجمة عربية لبعض صفحاتها بالشام، في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق... ولد أوليا جلبي سنة ١٠٢٠هـ «١٦١١ م» في استانبول من أسرة جاءت من أواسط آسيا... كان سريع الحركة، حلو الكلام طليّ الحديث، فكِهاً، يحفظ القرآن ويجيد تلاوته، خطاطاً، نقاشاً للمعادن والذهب، شاعراً وأديبا، له كتاب غير رحلته سياحة نامة وهو مفقود.انظر: العربي العدد (٢٧٤)، (ص١٠٢ ـ ١٠٨)، وايضاً: د . المعارف الاسلامية (٧/ ٧٠)، وايضا: معالم واعلام/ مطابع الف باء، دمشق ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م (١/ ٨١).

فنشبت لذلك وقعة هائلة عند أسوارها، انتهت بهزيمة (العثمانيين) هزيمة منكرة في ٨ رمضان ١١٢٩«١٦ آب ١٧١٧ م»، وفي اليوم التالي لهذه الموقعة، سلمت القلعة بشروط حسنة!،وانتقلت مدينة بلغراد الى النمسا بمقتضى صلح «بساروفتز» في شعبان ١١٣٠هـ «٢١ يوليو (تموز) ١٧١٨ م»، وفي عام «١١٥٢ هـ ١٧٣٩ م» حاصرها العثمانيون، وسلّمت لهم بمقتضى معاهدة بلغراد في «٢٧ جمادى الأولى ١١٥٢هـ - أول سبتمبر (ايلول ١٧٣٩).

واستعاد النمساويون بلغراد بعد موقعة «فكشاني» عام «١٢٠٣ هـ ١٧٩٩ م» في بدء عهد السلطان «سليم الثالث»، وظلت في حوزتهم الى معاهدة «سيستوف SZISTOW» في ٤ذو الحجة ١٢٠٥هـ «٤ آب ١٧٩١ م»، وسهلت فتن الانكشارية - حامية بلغراد - عام ١٢١٨هـ «١٨٠٣ م» للصرب للقيام بالثورة عام ١٢٨٤هـ «١٨٠٦ م»، وجعلوا من بلغراد - التي استولى عليها «قره جورج» عاصمة لهم ، الى أن هزمهم «رجب باشا» والي «ودين» عام ١٢٢٨هـ «١٨١٣ م». وأبقى فيها العثمانيون حامية... ظلّت الى عام ١٢٨٤هـ «١٨٦٧ م». حيث عادت عاصمة للصرب[٧].

... وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٦هـ «١٩١٨ م» أصبحت عاصمة للدولة الجديدة «مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين» (يوغسلافيا لاحقا)، التي تشكلّت في ربيع الأول ١٣٣٦هـ اول كانون الأول عام «١٩١٨ م»، والتي ضمّت عدداً لابأس به من المسلمين[٨].

.. لقد هوجمت بلغراد ودمّرت عدّة مرّات، أشدّها كانت خلال الحرب العالمية الثانية.

---

(٧) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م٤ ، ص١٠٥ - ١٠٦).

(٨) انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية/ د. محمد موفاكو، ط١، الكويت، دار العروبة عام ١٩٨٧ م - (ص٩٨).

□ شعار مدينة بلجراد . . محارب يمسك سيفا في يد ويحمل حمامة في اليد الأخرى .

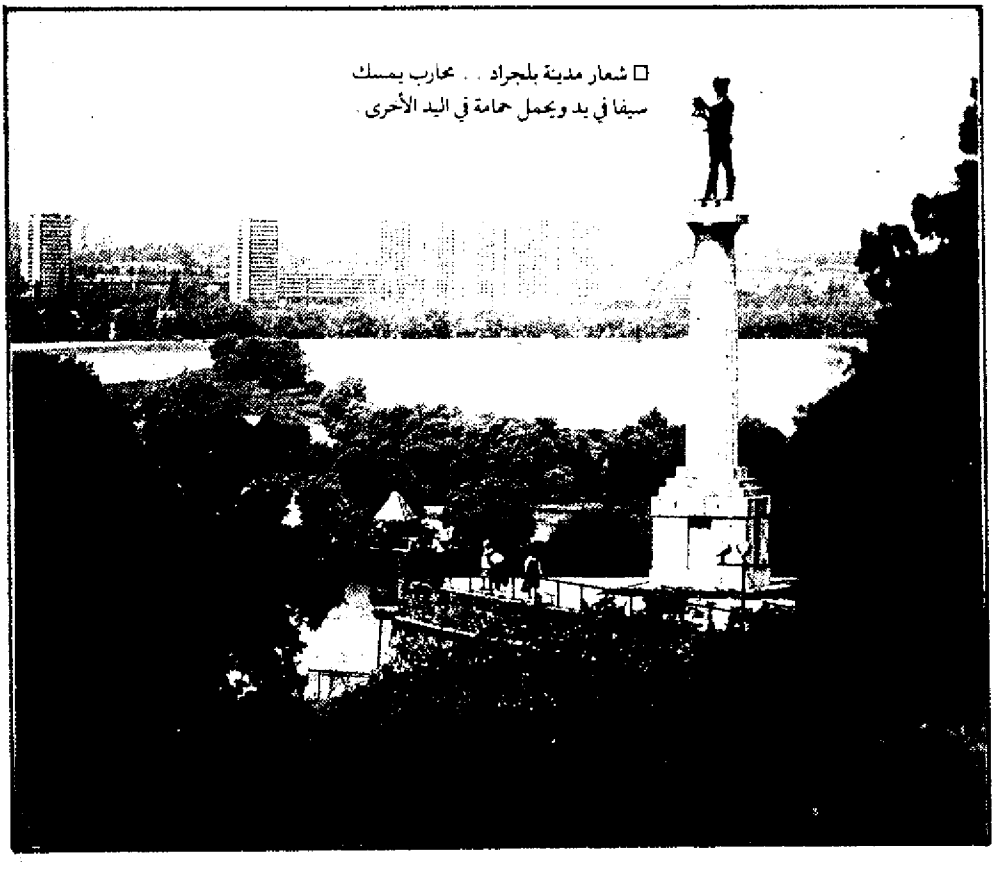

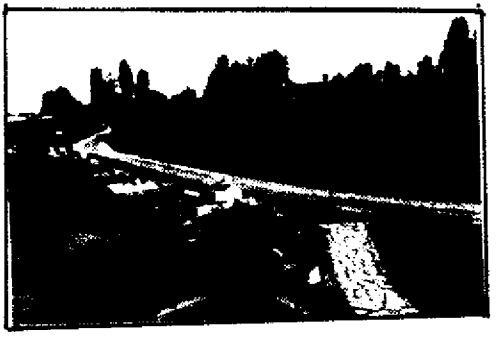

□ برج قلعة الميدان ، أحد شواهد التاريخ الممتد . ومتحف حربي مفتوح يضم الأسلحة التى غنمتها مملكة الصرب في الحرب العالمية الأولى .

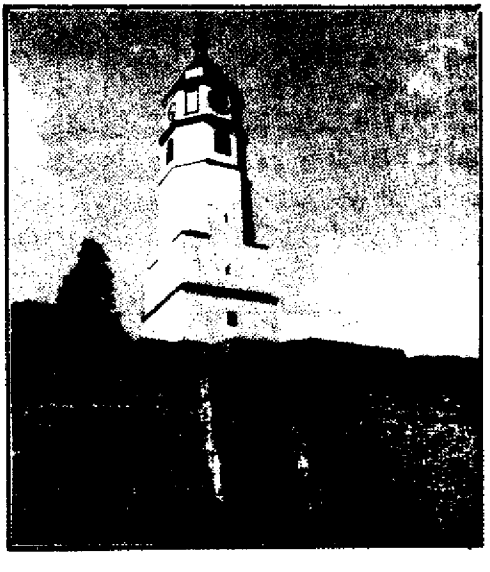

بلغراد الاسلامية:

أهميتها الثقافية:

كانت بلغراد خلال الحكم العثماني، من أهم مراكز الثقافة الاسلامية في أوروبا... وتتميّز بلغراد بوجودها في العمق الأوربي.

وعلى الرغم من هذا الدور الثقافي الذي تمتعت به بلغراد، فقد أدّت حرب الاسترداد.. الى استئصال المؤسسات الاساسية للثقافة: الجوامع، المدارس، التكايا والمكتبات، والتي كانت تحتوي على المصادر الأساسية للثقافة الاسلامية (المخطوطات) مما أصبح من الصعب، وصف المشهد الثقافي الذي امتازت به بلغراد خلال الحكم العثماني.

وكان للتطور الثقافي في بلغراد، كما في أية مدينة اسلامية (أخرى)، قد ارتبط ومنذ بدايته بالنواة الأساسية للمدينة «الجامع» ففي كل جامع أقيم «الكتّاب» لتعليم الأطفال، ثم اقيمت في اطار بعض الجوامع، المدارس المتوسطة، أو العليا، والمدارس المتخصصة، كدور القرآن ودور الحديث، والمكتبات.. فالإنفاق على هذه المدارس والكتاتيب كان يتم من طرف الأوقاف..

الكتّاب:

في المدن الاسلامية في البلقان يكاد الكتّاب أن يكون مرادفاً للجامع،.. وحتى في القرى الصغيرة، التي كانت تفتقر الى جامع، كان المسلمون يأتون

اليها من حين الى آخر لتعليم الأطفال. وكان هذا طبيعياً في البلقان. حيث كان الاسلام قد بدأ في الانتشار في وسط جديد لايعرف العربية التي كانت ضرورية للتمكّن من قراءة القرآن الكريم - على الأقل -... وكان شيخ الجامع يقوم بدور المعلّم.. ونظرا لهذا الترابط بين الكتّاب والجامع، فقد ارتفع عدد الجوامع في المدينة، حتى أن الرحّالة «أوليا جلبي» ذكر في وصفه لبلغراد سنة ١٠٧٠/ ٧١هـ «١٦٦٠» م، أنه كان في المدينة (٢٧٠) جامعاً ومسجداً و (٢٧٠) كتّاباً... [٩].

المدارس:

«تعتبر المدرسة MEDRESA حلقة متطورة في المدن الاسلامية في البلقان، حيث كان الطالب يتعمّق في علوم اللغة وآدابها... كـ «علم اللغة» «وعلم العروض» و «علم البلاغة» و «أيضاً» - «علوم الدين»، و «الفقه» و «التفسير» و «الحديث» و «العقائد» وغيرها... وتجدر الاشارة هنا الى أن غالبية النصوص لهذه المواد، كانت في اللغة العربية، نظراً للقداسة التي كانت تتمتع بها اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، والعلوم الدينية.

دور القرآن:

... بالاضافة الى المدارس كحلقة متطورة، تقدم للطالب مختلف المعارف اللغوية، والدينية... كان في بلغراد - كما في بقية المدن الاسلامية في البلقان - مايسمى بـ «دار القرّاء» التي كانت تختص بالقرآن الكريم، وكان على رأس هذه المدارس الاختصاصية، شيخ القراء، الذي كان يتميز باطلاعه الواسع على أنواع القراءات والتجويد.

---

(٩) .انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية(ص٤٧ - ٤٨).

دور الحديث:

كانت «دار الحديث» حلقة أخرى تختص بدراسة الحديث النبوي الشريف. وقد وصل عدد هذه الدور في بداية النصف الثاني للقرن السابع عشر، كما يذكر أوليا جلبي - حوالي (تسع) دور. (بالإضافةللتكايا).[١٠]

الجوامع والمساجد:

بدأ العثمانيون في بناء المساجد والجوامع. ففي المدينة خارج القلعة، بني اول مسجد سنة ٩٢٩ أو ٩٣٠هـ (١٥٢٣ م أو ١٥٢٤ م) وسمي باسم «منشئة فرحات باشا» وفيما بعد الى سنة «١٥٢٨ م» بني مسجدان آخران في المدينة، أحدهما بناه «أحمد باشا» والثاني «زين الدين آغا». وفي السنوات اللاحقة بني عدد من الجوامع في القسم المنخفض من القلعة.

ومع تطور المدينة واتساعها، أخذ عدد الجوامع والمساجد يزداد أيضا في بلغراد.. ووصف الرحالة «كيكلة KIKLE» الذي زار بلغراد سنة ١٠٦٨هـ «١٦٥٨ م»، حيث أشار الى (الجوامع البديعة) في المدينة، ومن بين الذين زاروا بلغراد الرحالة «هـ. أوتندوروف H. OTENDORF» ويتميز عن غيره بأنه زار بلغراد عدة مرات، على اعتباره عضو الوفد النمساوي المفاوض مع العثمانيين. واستناداً الى ماكتبه.. سنة ١٠٧٢/ ١٠٧٣هـ «١٦٦٢ م»، «لقد كان في بلغراد ستة وخمسون جامعاً كبيراً، وحوالي عشرين مسجداً صغيراً.»

وعن هذه الفترة، يقدم لنا كتاب الرحالة العثماني «أوليا جلبي»، الذي زار بلغراد سنة «١٦٦٠ م» أهم مصدر عن الجوامع والمساجد في بلغراد، ونقل وصفاً دقيقاً لما عليها من كتابات تسجّل تاريخ بنائها، وأحوالها.

---

(١٠) للتوسع في هذا الموضوع، انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية(ص٤٧ ومابعدها).

.. وبالاضافة الى جوامع ومساجد بلغراد ـ كان بالمدينة (١٧) تكيّة و (٨) مدارس ثانوية اسلامية، و (٩) دور للحديث، و (٢٧٠) من الكتاتيب القرآنية وقد قضى المسيحيون على المدارس والمساجد كلها وتهدم مسجد الرئيس أفندي، و أنشيء مكانه ملعب لسباق الخيل، وبني المسرح المركزي على أنقاض «مسجد التربة»، والبرلمان الاتحادي اليوغسلافي، وهو «مسجد في السابق» وكان من أجمل وأكبر مسجد في بلغراد[١١].

مع أن بلغراد كانت أغنى المدن بالجوامع في أوروبا في منتصف القرن السابع عشر.... تجدر الاشارة هنا، الى أن بعض الجوامع.. بقيت معروفة لنا من خلال اللوحات والصور الفوتوغرافية النادرة، بينما لاتعرف الآن شكل غالبية الجوامع الأخرى[١٢].

.. ولم يبق من كل جوامع ومساجد بلغراد الى الآن الا جامعاً واحداً يؤدي فيه المسلمون في بلغراد صلواتهم، بعد ماأصاب اماكن العبادة الاسلامية، من تشويه وتدمير وتغيير، والمسجد الوحيد الباقي الى الآن هو «مسجد البيرق[١٣]».

جامع البيرق «جامع الحاج علي تشوكاجي» (سابقا):

كان الجامع الأصلي من الجوامع القديمة في بلغراد بني.. في النصف الثاني للقرن السابع عشر... ذكر لأول مرة سنة ١٠٩٩هـ «١٦٨٨ م»، وبعد الاحتلال النمساوي لبلغراد سنة ١١٢٩هـ «١٧١٧ م» أعطي هذا الجامع لطائفة «الجزويت» وتم تحويله الى كاتدرائية كاثوليكية خلال الحكم النمساوي

---

(١١) انظر: المسلمون في يوغسلافيا/ محمد صفوت السقا أميني، ط١ ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤هـ (ص١٢ ـ ١٣).

(١٢) ـ انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية (ص١٠١).

(١٣) ـ انظر: المصدر نفسه (ص٧٥ ـ ٩٩).

للمدينة ١١٢٩ ـ ١١٥٢هـ «١٧١٧ ـ ١٧٣٩ م» وبعد استرداد الدولة العثمانية لمدينة بلغراد، قام «الكتخداحسن» بتجديد الجامع سنة ١١٤٥هـ «١٧٤١ م»

.. ومع هذا، فقد أخذ يشتهر لدى مسلمي بلغراد ـ منذ نهاية القرن الثامن عشر ـ باسم «جامع البيرق» بسبب رفع البيرق عليه للاعلان عن الصلاة في وقتها المحدد، .. ساءت الأمور، واندلعت الحرب بين الامارة الصربية والدولة العثمانية، وغادرت اغلبية المسلمين بلغراد بما في ذلك الشيخ والمؤذن... وأُغلق الجامع حتى ١٣٠٠هـ «١٨٨٣ م» حيث تحسنت العلاقات بين الصرب والعثمانيين، وأعيد فتح جامع البيرق، وبدأ المسلمون يعودون الى بلغراد، قامت الحكومة الصربية باصلاح الجامع سنة «١٨٩٣ ـ ١٨٩٤ م» (١٣١١هـ)..

جامع البيرق بعد الحرب العالمية الأولى:

بعد نهاية الحرب الكبرى (العالمية الأولى)، أصبحت بلغراد عاصمة الدولة الجديدة.. وفي عام ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م، قام محافظ بلغراد، بأول تجديد كبير للجامع، وذلك بمناسبة تنصيب رئيس جديد للعلماء المسلمين في يوغسلافيا السابقة،.. وخلال الحرب العالمية الثانية، احترق سقفه وأصيب بأضرار جسيمة، ولم يتم اصلاح هذه الأضرار الا في ربيع ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م، من قبل المجلس الشعبي للمدينة[١٤].

---

(١٤) انظر: بلغراد الاسلامية (٩٨ ـ ٩٩)أو الاسلام في يوغسلافيا من بلغراد الى سراييفو(ص ١٠٤ ـ ١٠٥) وفي هذين المصدرين تستطيع أن تتعرّف على الجوامع والمساجد التي كانت تزدان بها بلغراد أيام أن كانت اسلامية، وقد ذكر مؤلف الكتابين المذكورين: د. محمد. م أرناؤوط (٥٦) جامعا، و(٢٢)مسجدا، مع العلم أن جوامع ومساجد بلغراد كانت تقارب (٢٧٠) جامعا ومسجدا أحصاها الرحالة (أوليا جلبي)كما ورد في المصدرين المذكورين..

جامع البيرق بعد الحرب العالمية الثانية:

بعد الحرب العالمية الثانية وبداية العهد الاشتراكي، ارتفع عدد المسلمين في بلغراد نتيجة للانفتاح والاختلاط..ومع ذلك كان جامع البيرق مايزال مغلقا منذ ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م وبقي حتى عام ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م كبناء أثري، ولكنه لم يفتح لاستقبال المصلين الافي بداية الستينات، ومع أن أعداد المسلمين في بلغراد قد تضاعفت، بقي جامع البيرق هو الجامع الوحيدفي بلغراد[١٥]

..كان جامع البيرق قد بني بأمر من السلطان سليمان القانوني، ثم تعرّض للاستيلاء عليه من قبل النصارى ليحوّل الى كنيسة.. ثم يعود ثانية الى مسجد.. عام ١١٥٢/ ٥٣هـ - ١٧٣٩/ ٤٠م بعد عودة الحكم العثماني الى بلغراد..

ومسجد البيرق - الآن - الذي يقوم عليه «مفتي بلغراد» مسجد صغير، ولكنه نموذجي، اذ فيه المصلّى، وشرفةللسيدات، وغرفة لغسل الموتى، من المسلمين مجهّزة تجهيزا حديثا، ومطعم صغير يرتاده المسلمون، لأنه يقدم الطعام على الطريقة الاسلامية.. ويضم مسجد البيرق غرفة لتعليم القرآن الكريم، والدين الاسلامي.

قلعة بلغراد:

في الطريق الى قلعة بلغراد، يشاهد الزائر، الآثار الاسلامية، وخاصة في القلعة نفسها، وفيها مسجد (مهدوم) لاتزال آثاره باقية وفيها بعض قبور المسلمين، كما يوجد في مدخلها كنيسة لم يهدمها المسلمون، ابّان حكمهم، وقد تحوّل قسم من القلعة الى متحف حربي، يبين تاريخ يوغسلافيا الحربي، بما في ذلك الفتح الاسلامي، وتاريخ تقهقر الدولة الاسلامية، وفي المتحف

---

(١٥) انظر: بلغراد الاسلامية (ص٦٠).

لوحة تعود الى القرن الثاني عشر الهجري ـ الثامن عشر الميلادي قبل خروج المسلمين منها، وهي تمثل بلغراد ذات طابع اسلامي محض، تتميز بمآذنها العديدة، وبحديقة عامة، يؤمها السياح وأهالي بلغراد[١٦].

وجاء في وصف الرحالة «أوليا جلبي» لبلغراد ان قلعة بلغراد مع المدينة تمتدان على مساحة (٢٠/٠٠٠) ذراعا، وعدد سكانها (١٥/٠٠٠) نسمة، وفي بلغراد (١١٠٠٠) بئر،.. وستة بيوت للقوافل، وبيت قوافل «صوقللو»، وفيه (٦٠) حجرة/ وفي بلغراد (ثمان) كنائس أرثوذكسية، وكنيساً يهودياً... بالاضافة الى الجوامع والمساجد الاسلامية ـ التي مرّ ذكرها[١٧].

جامع البيرق وهو الوحيد الى اليوم في بلغراد

(١٦) انظر: المسلمون في يوغسلافيا (ص١١ ـ ١٣).

(١٧) ـ انظر: مجلة العربي العدد ٢٧٤ «١٩٨١ م» (ص١٠٢ ـ ١٠٨).

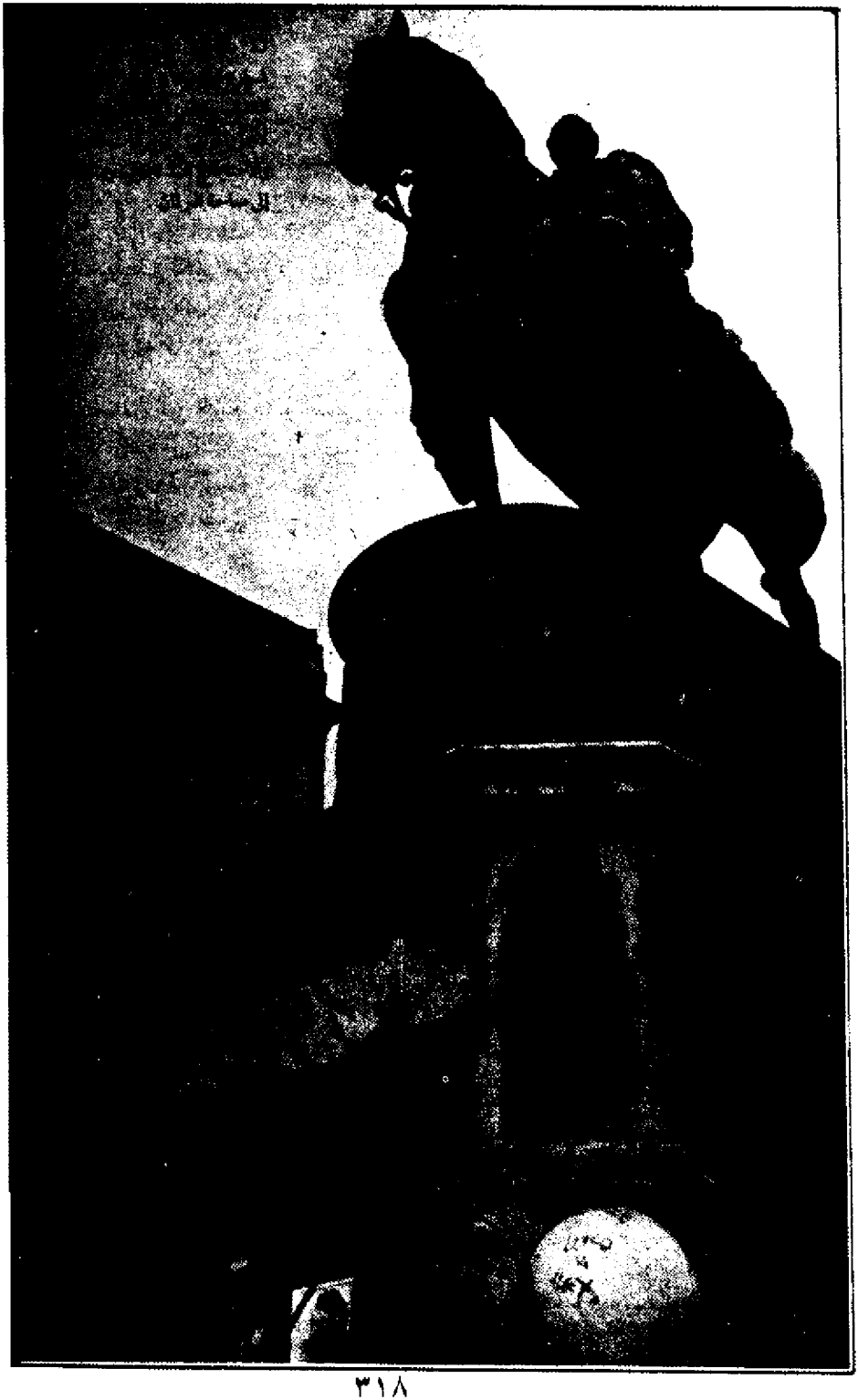

بلغراد بوابة الشرق والاسلام في أوربا

كانت بلغراد، حتى الفتح الاسلامي العثماني، يطغى عليها الطابع العسكري لأهمية موقعها الاستراتيجي، وقد ساهمت هذه الأهمية في تأكيد دورها كقلعة حصينة على حساب تطورها كمدينة تقوم على نشاط اقتصادي وتجاري بارز.

عندما فتح العثمانيون بلغراد سنة ٩٢٧هـ «١٥٢١ م» كانت هذه المدينة عبارة عن قلعة ضخمة في القسم المرتفع، مع عدد أحياء سكنية في القسم المنخفض، بحيث كان من الصعب تقدير عدد السكان بأكثر من عدة آلاف. وفي الواقع، لقد استمرت بلغراد في السنوات الأولى كقلعة وكمركز عسكري رئيسي، تنطلق منه الجيوش العثمانية لمتابعة الفتوحات ... ولكن، بعد أن اتسعت حدود الامبراطورية العثمانية شمالاً.

بفتح «بودابست» - عاصمة المجر، سنة ٩٣٢هـ «١٥٢٦ م»، أخذت بلغراد تتطور بسرعة وبشكل مثير، من قلعة حدودية، الى مدينة ذات نشاط اقتصادي وتجاري بارز في البلقان... وهكذا بعد قرن واحد، أصبحت بلغراد من اكبر المدن في أوروبا الشرقية. وفي الواقع كان هذا التطور المثير، بطابع اسلامي، حتى ان بلغراد أصبحت كما يقول المؤرخ المعاصر «د. بوبوفيتش D.POPOVEIĆ» - تشبه دمشق أو غيرها من مدن الشرق بسكانها ومنشآتها وثقافتها، وتقاليدها. حتى أنها اشتهرت لدى الرحالة من الاوربيين، باسم «بوابة الشرق»... وكما يذكر الرحالة الانكليزي «براون»: «أصبحت بلغراد

جزءاً من عالم يختلف تماماً عن الغرب..».

..وأصبحت بلغراد ـ في تلك الفترة ـ اكبر وأهم مركز للحضارة الاسلامية في أوروبا، وكانت بالتالي نموذجاً للمدينة الاسلامية.

الوضع الاداري:

بعد الفتح العثماني، أصبحت بلغراد، مركزاً لسنجق «سيمديرفو SMEDERVO» في أيالة الروملّي... ثم اصبحت مركزاً لباشوية جديدة تحمل اسم «باشوية بلغراد» وذلك سنة «١٦٨٦ م».[١٨].

تطور بلغراد الاقتصادي:

ولقد أدّى موقع بلغراد الاستراتيجي ـ الذي امتازت به، الى ان تقوم بدور كبير كوسيط تجاري بين الشرق والغرب وبالتحديد بين البلاد العربية والبلاد الأوروبية.

والى جانب التجارة، ازّدهرت المهن بشكل مثير ومميّز للمدينة الشرقية الاسلامية.

أما المنشآت التي لم يكن لها مثيل في البلاد المجاورة، كان أهمها: استراحات القوافل القادمة من الخارج، والتي اشتهرت باسم «كارفان ساراي KARAVAN. SARAI». وهذه الاستراحات على نوعين: قسم منها يتبع الاوقاف الاسلامية، ويقدم خدماته مجاناً، والقسم الآخر، مقابل أجرة رمزية. وقد وجد «أوليا جلبي» أثناء زيارته لبلغراد، (ست) استراحات من هذا النوع. ذكر منها (ثلاث) استراحات للأوقاف.. منها استراحة «صوقولو فيتش» للقوافل، والتي تبدو كالقلعة، إذ تحتوي على (ستين) قاعة في الطابق الارضي،

---

(١٨) ـ للتوسع في هذا الموضوع انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية (ص١٩ ـ ٢٨ ومابعدها).

والاول مع اصطبل للجمال، وآخر للخيل، وفي هذه الاستراحات التابعة للأوقاف، كان المسافر او التاجر، يقيم مجاناً، وكان يُقدم لكل واحد - دون تمييز - وجبة طعام كاملة.

والى جانب هذا، كان في بلغراد - أيضا - «البزستان BEZSTAN[١٩]»، وهو ماكان يثير اعجاب الاوروبيين لكونه يجمع الأصناف الكثيرة من البضائع. وقد ازدهرت في بلغراد - أيضا - الخانات، وهي التي كانت تستخدم كاستراحة للمسافرين، وكبيوت تجارة. وخلال زيارة «جلبي» سنة «١٦٦٠م» كان في المدينة (واحد وعشرون) خاناً.

الأدب والمؤلفات العلمية في بلغراد الاسلامية:

خلال التطور الحضاري، الذي وصل الى قمته في النصف الثاني للقرن السابع عشر، ازدهرت الثقافة في بلغراد بشكل واضح منذ بداية الحكم العثماني. وللأسف، فان معظم هذه الثقافة (الموثقة بالمخطوطات)، قد واجهت مصيرا تعسا، مع محاولات (إزالة كل مظهر اسلامي) من بلغراد، واخلائها من كل رمز ثقافي.. اسلامي.. ولايوجد في مكتبات بلغراد الا المخطوطة التي كتبها إمام جامع الكتخدا وهي: كتاب المشارق.. ومع ذلك، بقي لنا مايساعدنا على التعريف بالوسط الأدبي العلمي في بلغراد، كما يؤكد الباحث «ج. شعبانو فيتش» - خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، حين كانت بلغراد مركزاً معتبراً للثقافة الاسلامية[٢٠].

وفيما يتعلق بالأدب نلاحظ هنا ازدهار الشعر بشكل خاص خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، حتى ان بلغراد قدمت عددا من الشعراء الذي كانت لهم شهرتهم في ارجاء الامبراطورية العثمانية.. مثل : «نوري»

---

(١٩) - البزستان: كلمة تركية، تدل على السوق التجارية

(٢٠) - المصدر السابق نفسه

و«والي»و «زيني»... ومن أعظم الشعراء الصوفيين، كان الشاعر «حبيبي البلغرادي» الذي كان من أتباع الطريقة المولوية. وقد اشتهر هذا الشاعر بشروحاته لـ «مثنويات جلال الدين الرومي».. وأيضا «أميري البلغرادي» الذي يتميز بأشعاره الوجدانية.

ومن الجدير بالذكر، أن بعض الشعراء من بلغراد اشتهروا - أيضا - في البلاد العربية. ومن أهم هؤلاء - دون شك - الشاعر «حسين باشا البلغرادي» الذي له ترجمة وافية في كتاب «خلاصة الأثر»...[٢١]. حيث وصفه مؤلف الكتاب بأنه «واحد الدهر على الاطلاق» ورأس الفضلاء في وقته».. وبالاضافة للشعر، برز في بلغراد خلال العهد العثماني عدد من العلماء كالمؤرخ ورجل الدولة «فريدون بك وشيخ الاسلام «عبد الرحمن أفندي[٢٢]».».

الشاعر حسين باشا البلغرادي:

.. حسين باشا البلغرادي ابن رستم، كانت ولادته ببلغراد في يوم الأربعاء في «١٣ شوال سنة ٩٨٥ هـ الموافق لـ ١٤ تشرين الاول ١٥٥١ م».

...كان والد الشاعر من موالي السلطان «سليمان»، أما والدته، فهي، «ابنة أياس باشا»، الذي كان رأس الوزراء في دولة السلطان سليم.. كان حسين قد صار ملازما بمدرسة السلطان سليم الأول، بقسطنطينية، ثم ترك ذلك وعزم على الاقامة بمصر، فقدم اليها وأقام فيها معززا مكرماً، في بيت واسع ويقول «المحبي» عن حسين باشا.... وأما أدبه، فمادة البراعة والاحسان القاصر عن نظمه، سحبان وحسان[٢٣] - وهذا مايدل على مكانته

---

(٢١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبي - ج٢ - دار صادر، بيروت (بدون تاريخ).

(٢٢) - المصدر السابق (ص٤٧ - ٥٦).

(٢٣) - سحبان: هو «سحبان وائل»: من أعظم خطباء الجاهلية. =

الأدبية العالية، وشعره الرائع ـ وكان صاحب «خلاصة الأثر» قد أثبت له بعضا من قصائده:

كتب الشاعر الى القاضي «محمد بن دراز» يقول:

على ألمعي شاقني بخيـــــالـــــه

سلام يحاكي منسـه طيب خصالـــهِ

عشقت ومـــاأبصرتـــه غيـــر أنني

سمعت مـــن الباكين وصف كمالِـــهِ

وكتب الى الشيخ «عبد الرحمن المرشدي»:

عنـــدي لنمودك فـاعلـم ذاك ميثـــاق

وللتملّي بمـــنظرأى منك أشتـــــاقُ

وللحلـــول بـــأرض أنت ساكنهـــا

قلبي بحادي الجنوبي والـوجـد ينساقُ

أما قصيدته التي اثبتها له «المحبي» في كتابه الثاني «نفحة الريحانة» يقول في مطلعها:

أراك تـــروم المجـد ثـــم تساهـــلُ

وزاملـــة الحمقى اليسيـــر تنـــاقل

= وحسان: هو «حسان بن ثابت» من شعراء الجاهلية والاسلام، وهو شاعر الرسول الكريم (ص).

للتوسع في معرفة الشعراء والأدباء وغيرهم من الأعيان، انظر: خلاصة الأثر المصدر السابق (ص ٨٩ ـ ٩٠ ومابعدها).

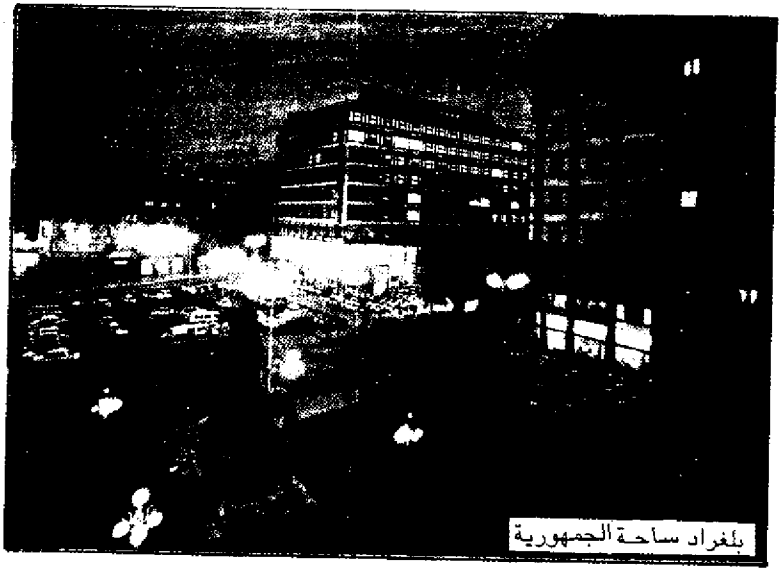

بلغراد ساحة الجمهورية

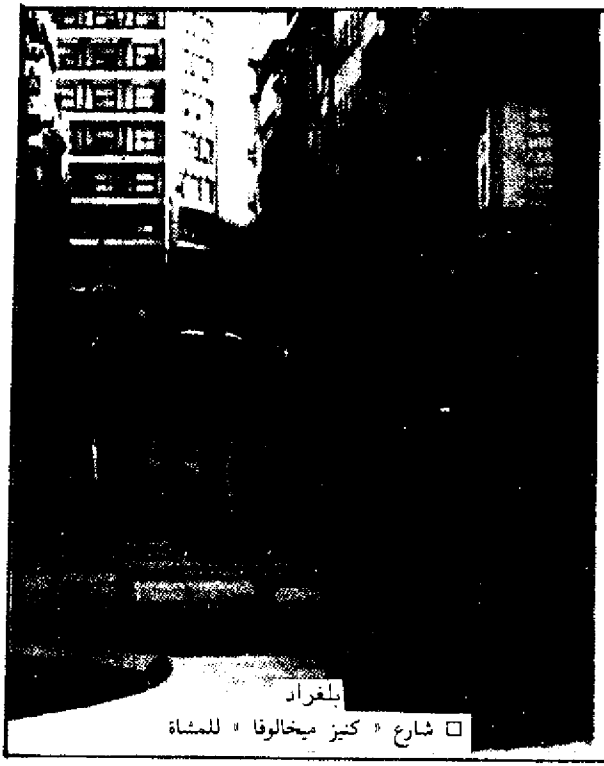

بلغراد

□ شارع « كنيز ميخالوفا » للمشاة

مبنى فندق موسكو

في قلب بلغراد ما زال محتفظا بجماله على الرغم من أن تاريخ بنائه يعود إلى عام ١٩٠٥ .

حرب الاسترداد

بلغـــراد تحت الحكـــم النمساوي

«١١٢٩ - ١١٥٣هـ» «١٧١٧ - ١٧٤٠م»

في صيف ١١٢٩هـ «١٧١٧ م» شنت النمسا الحرب على الدولة العثمانية، وتقدم جيشها نحو بلغراد، حيث جرت في ٨ رمضان ١١٢٩هـ و١٦آب ١٧١٧ م «واحدة من أكبر المعارك في التاريخ الحديث، فنزلت الهزيمة بالدولة العثمانية في هذه المعركة، وسيطر النمساويون على بلغراد وشمال صربيا بموجب اتفاق الصلح».

.. كان أول قرار للادارة النمساوية، هو اخلاء المدينة، وهدم المباني القديمة وغير المستعملة، للتخلص من قسم من جوامع المدينة.. ومع هذا بقي فيها عدد كبير من الجوامع وهذا، كما يقول المؤرخ «نيكيتش»، لم تكن نتيجة لتسامح الحكم النمساوي، بل لأغراض عملية بحتة . وفي الواقع، لقد تم اقتسام الجوامع التي بقيت بين الادارة النمساوية والكنيسة الكاثوليكية، فقد أخذت الادارة النمساوية حوالي (عشرة جوامع) لتستفيد منها في شتى الاغراض،.. أما القسم الآخر من الجوامع... تحولت الى كنائس كاثوليكية.

... وبروح التعصب الطاغية على النمساويين للكاثوليكية، لم يعطوا أي جامع الى الأرثوذكس لتحويله الى كنيسة، ولكنها سمحت لهم بتحويل الجوامع الى كنائس ارثوذكسية في المدن القريبة من بلغراد... وقد تصرفت الادارة

النمساوية على هذا النحو مع بقية المنشآت الحضارية كالحمامات والخانات.. الخ، التي كانت تعتبر من رموز الحضارة الاسلامية.

.... وفي الواقع لقد تمت هذه التغيرات بسرعة كبيرة، مكّنت الحكم النمساوي من تغيير معالم المدينة خلال فترة قصيرة للغاية... فبعد سنتين فقط من الحكم النمساوي كتب الرحالة «درويش» في عام ١١٣١هـ «١٧١٩م» : «من شاهد بلغراد في عهد العثمانيين ويعود لمشاهدتها اليوم، لايمكن أن يقول أبداً، أن هذه المدينة هي بلغراد السابقة[٢٤]...».

عودة بلغراد الى الحكم العثماني

«١١٥٣ - ١٢٠٣ هـ و ١٧٤٠ - ١٧٨٨ م»

في ربيع ١١٣١هـ «١٧٣٦ م» أعلنت روسيا القيصرية، الحرب على الأمبراطورية العثمانية ثم تم تجديد التحالف الروسي - النمساوي، مما ألزم النمسا على التورط في الحرب.

وقد تطورت الحرب بشكل مفاجيء وانهزم النمساويون في ربيع الآخر ١١٥٢هـ «تموز ١٧٣٩ م» بالقرب من بلغراد.. وفي ايلول تم التوصل الى «صلح بلغراد» الذي بموجبه استردت الامبراطورية العثمانية، المناطق الواقعة جنوب الدانوب. بما في ذلك مدينة «بلغراد»، وهكذا عادت بلغراد مرة ثانية الى الحكم العثماني.

وحسب صلح بلغراد كان على النمساويين أن يهدموا مابنوه في بلغراد، باستثناء القلعة خلال حكمهم للمدينة ..

... وعندما تسلم العثمانيون المدينة في ١١٥٣هـ تموز «١٧٤٠ م»، كانت بلغراد خالية من الكاثوليك، بينما بقي فيها الأرثوذكس.. وبعض

---

(٢٤) - انظر بلغراد الاسلامية (ص٤٦ - ٥٧).

اليهود...

وخلال فترة قصيرة، استردت بلغراد طابعها الشرقي الاسلامي الذي كانت تتميز به في السابق.. وقد شجع عودة بلغراد للحكم العثماني المسيحيين الأرثوذكس.. على القدوم ثانية الى المدينة، التي نزحوا منها ابان الحكم النمساوي وأصبح عدد الأرثوذكس خلال هذه الفترة، يوازي عدد المسلمين.

جرى في البداية استرداد الجوامع التي كانت قد حُوّلت الى كنائس أو غير ذلك[٢٥]... وتم اصلاح وتجديد عدد من الجوامع التي كانت قد اهملت... وتم - الى جانب الجوامع - عودة التكايا الى البروز، وافتتاح المدارس المتوسطة والعالية... وازدهرت ايضا الحياة الاقتصادية والتجارية في المدينة...[٢٦].

بلغراد تحت الحكم النمساوي ثانية
«١٢٠٣ - ١٢٠٦ هـ و ١٧٨٩ - ١٧٩١ م»

.. اندلعت الحرب ثانية بين الامبراطورية العثمانية وروسيا القيصرية، في ١٢٠١هـ بداية «١٧٨٧ م»، واشتركت النمسا فيها بجيش يتألف من (خمسين الف) جندي توجه الى بلغراد لحصارها.. وقام النمساويون بقصف عنيف للمدينة، على مدار الليل والنهار، حتى اضطرت حامية المدينة للاستسلام في ١٩ محرم ١٢٠٤هـ «٩ تشرين الأول» ١٧٨٩م بعد اتفاق خاص...

---

(٢٥) هنا يذكر د. محمد موفاكو صاحب كتاب «تاريخ بلغراد الاسلامية» : أن الباحث اليوغسلافي «ليوبوميرنيكتيش» في دراسته عن جوامع بلغراد التي نشرت في منتصف الخمسينات.. فيقول : «جرى تحويل كل الكنائس باستثناء واحدة ارثوذكسية الى جوامع» دون ان يشير الى ان هذه الكنائس كانت جوامع في الاصل وبالتالي أعادتها الادارة العثمانية الى ماكانت عليه... دون التعرض الى مافعله النمساويون بجوامع المدينة بعد دخولهم بلغراد سنة «١٧١٧ م»! (وهذا مايؤكد لنا التحيّز ضد الإسلام والمسلمين!).

(٢٦) انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية (ص٦٣ - ٧٤).

وغادر المدينة (١١١٥٤) شخصا من الجنود والمدنيين... وكان نتيجة هذا القصف الذي قام به النمسويون، أن تعرض قسم كبير من الجوامع الى الاندثار...

وعاد كثير من المسيحيين واليهود للإقامة في بلغراد.. وبعد شهرين من السيطرة على بلغراد، قامت الادارة النمساوية ـ بمناسبة عيد الميلاد ـ بتحويل أحد الجوامع الى كنيسة.

كانت النمسا غير متحمسة للحرب مع العثمانيين لانشغال البلاد بالاضطرابات الداخلية.. وتفاوضت مع العثمانيين للانسحاب من الحرب وتم الاتفاق على الانسحاب من بلغراد.. واستلم العثمانيون المدينة في «١٢ تشرين الأول ١٧٩١ م» (١٣ صفر ١٢٠٦ هـ). بهذا قرر كثير من نصارى بلغراد ترك المدينة بسرعة، وبالمقابل عاد اليها كثير من المسلمين.

عودة بلغراد الى الحكم العثماني:

تميزت هذه الفترة.. ببروز السلطان المصلح «سليم الثالث» الذي حكم بين سنتي ١٢٠٣ ـ ١٢٢٢هـ «١٧٨٩ ـ ١٨٠٧ م» وأراد انتشال الامبراطورية... وتحديث الجيش والاهتمام بوضع المسيحيين لكي يرتبطوا بالولاء للدولة العثمانية، وذلك للتخلص من تدخل القوى الأوربية وتوسعها على حساب العثمانيين بحجة وضع المسيحيين في الدولة العثمانية.. فأرسل السلطان «مصطفى باشا» ليتولى باشوية بلغراد لتنفيذ الاصلاحات، ومنها: تأكيد الحرية الدينية الكاملة للمسيحيين... وبذلك عم الازدهار في الباشوية وتشجع الصربيون على الاقامة فيها.. ونهضت بلغراد من جديد. ولكن مرض الطاعون انتشر في الباشوية واستمر حتى ربيع ١٧٩٨م بعد أن قضى فيه المئات.

تم اصلاح وترميم ماخلفه القصف النمساوي للمدينة، وأصبح وضع المسيحيين الأرثوذكس أفضل من وضع اخوانهم في أية دولة مجاورة.

بلغراد تحت الحكم الصربي :
١٢٢١ - ١٢٢٨ هـ و ١٨٠٦ - ١٨١٣ م

تمرد الصرب فجرت الاتصالات مع الباب العالي الذي ارسل الوزير «بشير باشا» لاحياء الاصلاحات التي طبقت زمن «مصطفى باشا» ولكن زعماء الصرب أصروا على أن تضمن الدول الخارجية القيام بهذه الاصلاحات، مما ادى الى قطع المفاوضات وفشلها مما جعل الباب العالي يتجه الى انهاء هذا الرفض عسكريا، فكان الرد من الصرب بالهجوم على مدن الباشوية، ثم محاولة السيطرة على بلغراد في عام ١٢٢١هـ «١٨٠٦ م».

ثار الحقد الصربي ضد جميع المسلمين.. مما اضطروا من بقي من مسلمي الباشوية الالتجاء الى بلغراد[٢٧].

انتفاضة صربية:

في ١٨ رمضان ١٢٢١هـ «٢٩ تشرين الثاني ١٨٠٦م» قامت قوات الانتفاضة المؤلفة من ٢٥ ألف رجل و(٤٠) مدفعا،بالهجوم على المدينة بالرصاص والقنابل، فهب السكان من نومهم فزعين وسارع المسلمون بالالتجاء الى القلعة، أما الذين شلّتهم المفاجأة وأكثرهم من الاطفال حوالي (١٢٠٠ نسمة) بقوا في المدينة، وفي صباح ٢٠ رمضان ١٢٢١هـ الأول من كانون الاول ١٨٠٦م كانت بلغراد قد اصبحت في يد الثوار.

لقد قام ثوار الانتفاضة الصربية بالإنتقام من المسلمين وبخاصة من المسلمات بشكل مهين!!.. فقد امر «قره جورج» - هذا - بجمع من بقي من المسلمين حيا، في عدة جوامع، حيث وضعهم تحت الحراسة ومنع عنهم الطعام.

---

(٢٧) انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية (ص٧٥ - ٩٩).

بعد سيطرة الثوار الصرب على بلغراد، شدّدوا الحصار على قلعتها المليئة بالنساء والاطفال المسلمين، واستمر هذا الحصار ثلاثة اشهر، اضطر وزير بلغراد «سليمان باشا» الذي كان مع المحاصرين في القلعة - الى الاستسلام - بعد أن انتشرت المجاعة بين المحاصرين في القلعة، مما ادى ذلك الى وفاة الكثير من الاطفال والنساء يوميا.

الثـوار الصرب يجبـرون المسلمين على التنصّـر :

بعد سيطرة الثوار على القلعة، أعادوا تجميع المسلمين في المدينة (لتنصيرهم بالقوة..) وتشير بعض المصادر الى انه تم في تلك الايام (تنصير حوالي ستة آلاف) من المسلمين، وحتى بضع مئات من اليهود.

وبقي في المدينة عدد قليل من المسلمين الذين عاشوا في فقر مدقع، ثم أتى الدور على الجوامع في بلغراد، ويروي «كامينسكي KAMENSKI» الذي عاصر هذه الاحداث أن قسما من الجوامع حوّله الصرب الى زرائب للخنازير، بينما تم تحويل القسم الآخر الى بقاليات). وبقي جامع واحد لصلاة المسلمين، وحوّلوا أحد الجوامع الى كنيسة للأرثوذكس دون تعديل الا بوضع جرس كبير في قمة المئذنة[٢٨].

بعد هذا التطور في الاحداث، لابد أن يتغير التركيب السكاني في المدينة، ففي عام «١٨٠٦ م» - غادر المدينة معظم السكان - غير الصرب - من مسلمين ونصارى ويهود.

... وأصبحت بلغراد - لأول مرة - يتكون سكانها من طائفة واحدة من المسيحيين الأرثوذكس، وساعدت روسيا القيصرية على اذكاء روح التعصب الأرثوذكسي بتحريض النصارى في البلقان ضد الادارة العثمانية، لالتحقيق

---

(٢٨) انظر: المصدر السابق نفسه

استقلالهم ، بل لترث الحكم!..

عودة بلغراد ـ مرة اخرى ـ الى الحكم العثماني:

.. خلال عام «١٨١٣ م» استغل العثمانيون توّرط روسيا في حرب بونابرت واستطاعوا هزيمة قوات الانتفاضة والسيطرة مرة اخرى على الوضع في باشوية بلغراد في صيف ١٢٢٨هـ «١٨١٣ م».

وما أن وصل خبر انتصار العثمانيين، حتى هرب زعيم الانتفاضة «قره جورج» الى روسيا، ودب الذعر في بلغراد، وبدأ الصربيون بمغادرة المدينة خوفا من الانتقام العثماني لحوادث عام «١٨٠٦ م» ، ودخل العثمانيون بلغراد التي كانت خالية تقريبا.

في الفترة الأولى من «١٨١٣ ـ ١٨٣٠ م» استردت بلغراد طابعها الشرقي الاسلامي وتطورت بسرعة، وعادت مدينة شرقية اسلامية،

في الفترة الثانية من الحكم العثماني ١٢٤٦ ـ ١٢٧٩هـ «١٨٣٠ ـ ١٨٦٢ م» جرت تطورات وتغييرات في بلغراد.. وأصبحت بلغراد .. أمارة صربية تحت حكم الأمير ميلوش.. وعمّ السخط والخيبة الكثير من المسلمين وهاجر قسم كبير منهم وخاصة من بلغراد... وبالرغم من كل هذه التطورات والهجرة الاسلامية من بلغراد، كان الوجود الاسلامي فيها كبيرا ومؤثرا، وحسب احصاء ١٢٣٤هـ «١٨٣٤ م» كان المسلمون (٦٠٪) والمسيحيون واليهود (٤٠٪) .. وفي عام «١٨٤١ م» ازداد عدد الصربين في المدينة حتى تجاوز نسبة (٥٠٪) عام «١٨٤٤ م» (١٢٦٠ هـ) .. ورغم ذلك ظلت بلغراد تحتفظ بطابعها الشرقي الاسلامي،..الذي كان يتميز بـ (المنارات الجميلة والرشيقة التي تلمع تحت اشعة الشمس، التي جعلت بلغراد،من أجمل مشاهد العالم) كما جاء في «القاموس العام» الذي أصدره «مايـر» في «١٨٢٨ م» و (١٢٤٩هـ).

بلغراد تحت ظلّ العَلَم العثماني والحكم الصربي:

«١٢٧٩ ـ ١٢٩٣ هـ و ١٨٦٢ ـ ١٨٧٦ م»

في منتصف القرن التاسع عشر، قوى الشعور القومي الصربي التوسعي الاسترادادي وخيّم هذا الشعور على المدينة، مع تسعير الحقد ضد الاتراك، لانه بنظر الصرب كل مسلم هو من الاتراك، مهما كانت قوميته، واستمر هذا التوتر.. وتسلّح الجميع بانتظار ساعة الصفر.... وفي يوم ٥ ذو الحجة ١٢٧٩هـ ٣ حزيران ١٨٦٢ م قام الصربيون بهجوم شامل على المسلمين في المدينة. بدأ الهجوم مساءً باقتحام «تكية الشيخ حسن» حيث قُتل أحد المشايخ، واندفع الشباب وذبحوا ابنة الشيخ ذات الستة عشر ربيعا، وفي وقت متأخر من المساء بدأ الهجوم العام على المسلمين الذين سارعوا للاحتماء بعدة جوامع، حيث دارت معارك استمرت لعدة ساعات قاوم فيها المسلمون ماستطاعوا.. كما جرت عدة معارك في جوامع أخرى نجح المسلمون في بعضها من اختراق الحصار قبل الفجر واستطاعوا بلوغ القلعة بسلام. وفي اليوم التالي كانت بلغراد خالية من المسلمين ـ الا من جثثهم المبعثرة حول الجوامع التي شهدت المعارك..

بعد أن سيطر الصرب على المدينة، هاجموا القلعة التي لجأ اليها من بقي حيّا من المسلمين.

وفي اجتماع ضم ممثلي روسيا وفرنسا وانكلترا وبروسيا وايطاليا والنمسا ثم الباب العالي عقد في ٣ محرم ١٢٧٩هـ «١ تموز ١٨٦٢ م» بمدينة استنبول ، وتم التوصل الى «بروتوكول ١٢٧٩هـ ١٨٦٢ م» الذي ينص علي ترحيل المسلمين من الامارة الصربية بما في ذلك بلغراد، على أن يحتفظ الجانب العثماني بأربع قلاع عسكرية فقط في الامارة، منها قلعة بلغراد.

التزم الباب العالي بتطبيق البروتوكول وترحيل المسلمين بأقصى سرعة،

وكان المسلمون قد بدأوا بترك بلغراد قبل التوصل الى هذا البروتوكول، أما من بقي منهم، فتم ترحيلهم بالقوة، وبهذا لم يبق في بلغراد بيد الادارة العثمانية الا قلعتها.

.. في ١٢٧٩هـ ونهاية سنة «١٨٦٢ م» كانت بلغراد قد تغير مشهدها بسرعة، حيث اصبحت خالية من المسلمين ، بعد ان استمروا فيها اكثر من ثلاثة قرون، وفي احصاء جرى ، تبين ان الصربيون والمتصربين ، اصبحوا «٨٩٪» من سكان بلغراد، والكاثوليك «٩٪»، والبروتستانت «٢٪» وبين كل هؤلاء ، موظف مسلم (واحد) ، «طاهر افندي»، وشيخ، ومؤذن، بسبب وجود بعض المنشآت الاسلامية.

مع كل هذه التطورات، بقيت الامارة الصربية في اطار الامبراطورية العثمانية.. وبقي الوجود العثماني عسكريا ينحصر في أربع قلاع استراتجية، وظل الأمير الصربي «ميخائيل» يبذل مساعيه لدى الباب العالي ، ليتخلى عن هذه القلاع وتتولى حمايتها القوات الصربية باسم السلطان! وتحت العلَم العثماني ! وفعلا نجحت مساعي الأمير الصربي، وتسلم من «السلطان عبد العزيز» (فرمان التنازل) عن القلاع الأربعة.. وتسلم مفاتيح القلعة من قائدها «علي رضا باشا» ، ورفع العلم الصربي - لأول مرة - الى جانب العلَم العثماني في القلعة، وبعد عدة أيام، في ١٩ ذي الحجة ١٢٨٣هـ «٢٤ نيسان» ١٨٦٧م غادرت بلغراد آخر وحدة عسكرية عثمانية.

.. وبقي العلَم العثماني يرفرف فوق بلغراد من «١٨٦٧ - ١٨٧٦ م» ، بينما بدأت المنشآت الاسلامية في الاندثار تدريجياً، وأخذت الحكومة الصربية على عاتقها الانفاق على (جامع واحد) في المدينة ألا وهو «جامع البيرق» الذي سبق ذكره.

بلغراد عاصمة «صربيا»
«١٢٩٣ ـ ١٣٣٦هـ و ١٨٧٦ ـ ١٩١٨م»

«أدت التنازلات المتلاحقة للباب العالي.. الى التنافس مع الجبل الاسود لتصفية الحكم العثماني في المناطق المجاورة في البلقان، التي كان يعيش فيها المسلمون والمسيحيون فأعلنت امارة الصرب والجبل الاسود الحرب على العثمانيين في صيف ١٢٩٣هـ «١٨٧٦م».

... في جمادى الأولى ١٢٩٣هـ «٢٠ حزيران ١٨٧٦ م» أُنزل العَلَم العثماني عن ساريته في قلعة بلغراد وبدأت الحرب بين العثمانيين والصرب الا ان القوات الصربية هُزمت في المعارك الأولى.. وعقد الصلح في شباط «١٨٧٧ م» وبعد شهرين... شنّت روسيا الحرب على العثمانيين، فتوسعت القوات الصربية جنوبا وسيطرت على مناطق كبيرة، ووصل الجيش الروسي الى ضواحي استنبول مما أجبر الباب العالي التوقيع على معاهدة «سان استيفانو».. واعترف باستقلال الامارة الصربية عن الامبراطورية العثمانية وتوسيع حدودها بما يشمل كل المناطق التي سيطرت عليها خلال الحرب[٢٩].. واصبحت بلغراد عاصمة صربيا المستقلة، وتطورت المدينة فاكتسبت بسرعة الطابع الأوربي على حساب مابقي من المنشآت الشرقية الاسلامية،... وجاء

---

(٢٩) انظر: تاريخ بلغراد الاسلامية (ص٧٥ ـ ٩٩).

دور «الجوامع الباقية» حتى لم يبق منها الا جامع البيرق وهو الوحيد الى اليوم!.

بلغراد عاصمة يوغسلافيا ـ الملكية والجمهورية ـ منـــــذ: «١٢٣٦ هـ و ١٩١٨ م»

بعد نهاية الحرب الكبرى (العالمية الاولى) ـ اصبحت بلغراد عاصمة الدولة الجديدة «مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين» . يوغسلافيا لاحقا ـ ... وبعد زوال الحكم الملكي ـ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ أصبحت يوغسلافيا، جمهورية مستقلة زعيمها «الماريشال جوزيف بروز تيتو» الذي اتبع خطا شيوعيا مخالفا لشيوعية موسكو، ويوغسلافيا صارت : جمهورية اشتراكية اتحادية تضم ست جمهوريات لها استقلالها الذاتي، بالاضافة الى اقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي، ايضا هما: «فويوفودينا» في الشمال، و«كوسوفا» في الجنوب، ويتبعان جمهورية صربيا.

وبلغراد عاصمة يوغسلافيا الاتحادية ـ سابقا ـ كما أنها عاصمة جمهورية «صربيا» أكبر جمهوريات الاتحاد، (وبلغراد ـ اليوم ـ عاصمة يوغسلافيا الجديدة المؤلفة من جمهورية : صربيا وجمهورية الجبل الاسود بعد تفكك الاتحاد)، وليس فيها الآن مايدل ـ تقريبا ـ على أنها كانت مدينة شرقية اسلامية قبل قرن من الزمن[٣٠].

---

(٣٠) الموسوعة العربية الميسرة (م١ ـ ص٣٩٩).

سراجيفو مدينة التآخي

الكنيسة الأورثوذوكسية في "سراييفو".

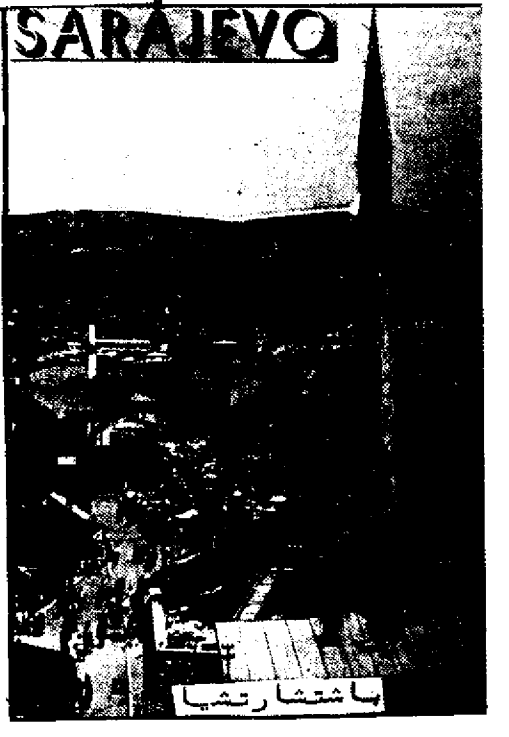

باشتارشيا

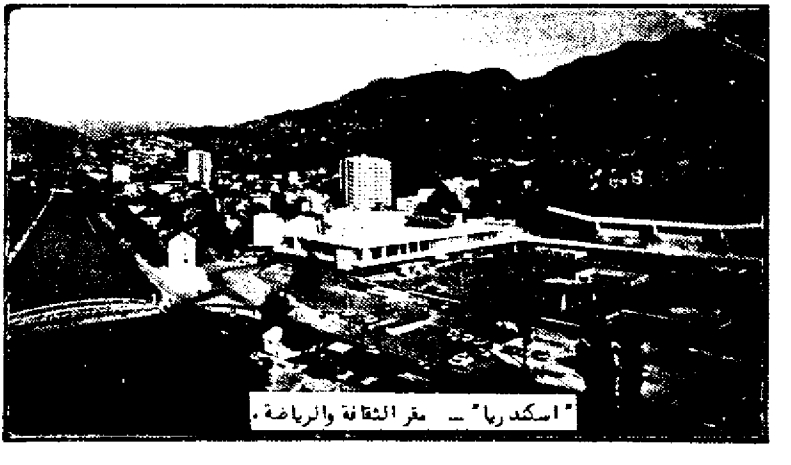

"اسكندريا" ... مقر الثقافة والرياضة.

سراجيفو (سراييفو)

SARAJEVO

لمحة تاريخية:

سراجيفو : سمّوها «بوزنفاز» واخذت اسمها الحالي «سراييفو» كما تلفظ في يوغسلافيا ـ وسراجيفو ، كما نلفظها في البلاد العربية وهي من كلمة «سراي» ومعناها «القصر»... وفي اللغة التركية «بوسنة سراي» كما اشتهرت ايام الحكم العثماني، تبعد عن استنبول «٥٦٠ ميلا» الى الشمال الغربي[٣١]. وقد ذكر اسم سراجيفو لأول مرة سنة ٩١٣هـ و١٥٠٧ م (والاسم مركب من كلمتين تركيتين: سراي أو اسي وتعني «سهل حول القصر» واطلق عليها لقب «سراجيفو دار الجهاد والزهرة بين المدن».

أن تاريخ سراجيفو، طويل شمل عصوراً عديدةً.. ان المستوطنات في هذا المكان ترجع الى العهد الحجري الحديث، ثم العصر الايليري، والعصر الروماني، وزمن الاستقلال البوسنوي ، حتى تكوين المدينة نفسها ، في أواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر.

في العهد العثماني ـ بدأت حياة هذه المدينة، وقد واجهت في تطورها...

---

(٣١) انظر: دائرة المعارف «بطرس البستاني» (م،٥ ص٦٩٣).

العجيب ، عددا لايحصى من المصائب ولذّات النهوض، مع المشاكل والمحن، وهي رغم ذلك، تخرج نحو أفق جديد...

لقد كانت هناك مراحل ركود في تاريخ سراجيفو منذ العهد الحجري الحديث في «بوتمير»....واحتلال الكتائب الرومانية لمياه «ايليجا» الساخنة العلاجية، حتى نشوء المدينة بمعناها الحقيقي. ان سراجيفو قد نشأت في اطار العهد الاقطاعي خلال الحكم العثماني في البوسنة والهرسك وقُدّر لها ان تعيش ساعات حافلة بالمفاجآت ومفعمة بالاحداث.. وكان قاطنوها يحسّون أن مصير الحياة المشترك مع مدينتهم ، وعليهم ان يصمدوا ليحققوا طموحهم الدائم الى الحرية والنضال[٣٢].

... وعندما استولى العثمانيون على البوسنة في عهد السلطان «محمد الفاتح» في ربيع «٨٦٧ هـ ١٤٦٣ م»، أدركوا روعة موقع سراجيفو ، فاختاروها مركزا عسكريا للمنطقة.

... ارتفع شأن سراجيفو في العهد العثماني، فكانت مقر ولاة البوسنة، الذين بذلوا الجهد لتجميلها ، فجعلوها مدينة اسلامية بين سنتي «٩٠٠ و ١٠٠٠ هـ» (١٤٩٤-١٥٩٢ م)، وأنشأوا فيها الكثير من المساجد، والمدارس، والحمامات، وغيرها من المنشآت الحكومية، وقد جُهّز بعضها تجهيزا بديعا فخما، كمنشآت «غازي خسرو بك»، التي مازالت باقية الى اليوم.

... انتقل مقر الوالي العثماني من سراجيفو الى مدينة «بنالوقة[٣٣]».. سنة «١٥٦٣ م» ... على أن سراجيفو احتفظت بمكانتها لدى العثمانيين، بقي الحكم العثماني فيها «٤١٥» عاما، فيما عدا فترة وجيزة احتل فيها

---

(٣٢) انظر: سراجيفو، المقدمة/ نديم ماهيتش، اتحاد سراييفو السياحي - سراجيفو «١٩٧٥ م» (ص٣ - ٤).

(٣٣) بنالوقة: مدينة في شمال غربي سراجيفو من جمهورية البوسنة والهرسك

الامير «أوجين EUGENE» النمساوي المدينة احتلالا لم يدم الا ساعات فحسب، وذلك في ربيع الآخر ١١٠٩هـ «اكتوبر (تشرين الأول ١٦٩٧م». وبعد حوالي قرنين من الزمن استولى عليها قائد المدفعية النمساوي «جوزيف... فليبوفيتش PHILIPPOVICH» بعد قتال حامي الوطيس، وضمها الى مملكة الدانوب وأعلن هذا الضم بموافقة الدول العظمى في ١٨ رمضان ١٣٢٦هـ «١٦ اكتوبر، تشرين الأول ١٩٠٨ م».

... وفي ٤ شعبان ١٣٣٢هـ «٢٨ يونيو، حزيران ١٩١٤م» اغتيل «فرانز فرديناند» ولي عهد النمسا في سراجيفو، فكان هذا الاغتيال من اسباب الحرب العالمية الأولى ١٣٣٢ - ١٣٣٦هـ «١٩١٤ - ١٩١٨ م».[٣٤].

... أن تاريخ كفاح سراجيفو ... انسى سنوات القهر المظلمة وأيام الأعمال الوحشية للفاشيست.

... كانت سراجيفو داراً لضرب النقود العثمانية... وسراجيفو مسقط رأس الشاعر العثماني «محمد تركسي[٣٥]».... كانت الحياة الفكرية زاهرة على الدوام في سراجيفو وماجاورها في العهد العثماني، ولايزال بها الى اليوم اثنا عشر برجا من الحصن القديم، باقية لتشهد بما كان لها من أهمية تاريخية[٣٦].

الماضي الغابر:

.. أن اقدم موقع لسكن الناس اكتشف في بوتمير - منطقة سراجيفو الحالية

---

(٣٤) انظر دائرة المعارف الاسلامية (م١١، ص٣٣٨ - ٣٤١).

(٣٥) محمد تركسي: له كتب كثيرة مترجمة الى الالمانية والانكليزية مثل: أحوال غزوات ديار بوسنة، وتاريخ ديار بوسنة وهرسك (مخطوط تركي) في المتحف الوطني بسراجيفو».

(٣٦) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م١١، ص ٣٣٨ - ٣٤١).

- وهو من العهد الحجري من حوالي «٤٥٠٠» سنة.

... لقد أقام الرومان مستعمرة لهم في «ايليجا».. ولكن غزوات القوط، والآفار، ثم المعارك الدموية، والنهب والتدمير، - كل ذلك - قد أباد مستعمرة الرومان المتطورة. وفي القرن السابع سكنت قبائل «سلوفين» منطقة سراجيفو.

ان الآثار المعتمد عليها من هذا العهد ، نادرة، وان ميثاقا من القرن الثالث (الميلادي) يحدثنا على أن منطقة سراجيفو، تابعة لمدينة «فرهبوسنة[٣٧]».....

سراجيفو في العهد العثماني:

أن دولة البوسنة، تحملت في بداية القرن الخامس عشر ضربات قاسية في حروب متواصلة مع الفاتحين العثمانيين، لقد فتح العثمانيون سنة «١٤٣٥ م» قلعة «هوديديد» القريبة من سراجيفو. واصبحوا سادة منطقة المدينة الحالية، فنشأت على ضفتي نهر «ميلياتسكا» مدينة جديدة، هي مقر والي ولاية جديدة للأمبراطورية العثمانية. ان الأمر باقامة المدينة قد اصدره «عيسى بك اسحاقوفيتش» سنة ٨٦٦هـ «١٤٦٢ م».

ان النصف الأول من القرن السادس عشر، أي فترة القوة للامبراطورية العثمانية العظيمة، وانجازاتها العسكرية الناجحة ، يمثل في نفس الوقت، العهد الذهبي للمدينة الجديدة على نهر «ميلياتسكا»، ان الوزير «غازي خسروبك» قائد الجيش - الماهر - خلال حكمه من ٩٢٧ - ٩٤٨هـ «١٥٢١ - ١٥٤١ م»، جعل من سراجيفو، اكبر وأجمل مدينة في البلقان، إن اوقافه - من أعمال المشهورين في ذلك الوقت - هي اليوم آثار تاريخية وثقافية قيّمة، اشهر مبنى في سراجيفو القديمة هو: جامع خسروبك» المقام سنة ٩٣٧/

---

(٣٧) انظر: مرشد سراجيفو من كتاب «سراجيفو» (ص٧).

٩٣٨هـ «١٥٣١ م» ، وهو يمثل أكبر اثر ديني للهندسة المعمارية الاسلامية في البلقان، وبجانبه بقي كآثار: وزارة غازي خسرو بك: مدرسة «قرشملية[٣٨]». والامارة «مؤسسة خيرية» و«بزاستان[٣٩]»، والحمام العام، وهي الآن، معالم تاريخية ثقافية للمدينة.. ولقد اصابت سراجيفو عدة حرائق كان أكبرها وأشدها قسوة في ربيع الآخر ١١٠٩هـ أكتوبر ، تشرين أول سنة «١٦٩٧ م»، عندما استطاع الأمير النمساوي «ايوجين سافوي» أن يدخل بـ «٨٥٠٠» جندي الى سراجيفو، ويحرق المدينة.

الاحتلال النمساوي الهنغاري:

ان الاحتلال النمساوي ـ الهنغاري، لبوسنة وهرسك سنة ١٢٩٥هـ «١٨٧٨ م» بعد أكثر من أربعة قرون من الحكم العثماني، معناه بالنسبة الى سراجيفو بداية مرحلة من الحكم الأجنبي.. سرعان ماقام الحاكم النمساوي الهنغاري بما يهدف لاستغلال ثروات البوسنة والهرسك الاقتصادية بسهولة، والتي كانت قليلة الاستغلال.

ان المركز الاداري والسياسي والعسكري والاقتصادي الحديث للولاية الجديدة التابعة للنمسا ـ هنغاريا، كان عليه ان يسهل حياة موظفي القصر وجنوده وان يظهر قوة المملكة النمساوية الهنغارية أمام السكان المحليين الثائرين.

أما سراجيفو فقد فقدت جمال هندستها المعمارية باقامة عدد من الابنية مختلفة الطراز عن الطرز الشرقية الاسلامية، وقامت الادارة الجديدة بالتقرب من السكان المحليين واستمالتهم ، في نهاية القرن التاسع عشر الماضي

---

(٣٨) القرشملية: وتسمى ايضا: سلجوقية، نسبة الى والدة خسروبك الاميرة التي اقيمت المدرسة تخليدا لذكراها

(٣٩) انظر: مرشد سراييفو (ص٧ و ٨).

وبداية القرن الحالي، فقام المحتل بوضع نظام عصري لأنابيب المياه ، وكان أول نظام وضع لأنابيب المياه في سراجيفو، وكذلك للمجاري في سنة ٨٦٥هـ «١٤٦١ م» أما النظام الجديد فكان سنة ١٣٢١هـ «١٩٠٣ م» ثم الكهرباء والترام ١٣١٣هـ «١٨٩٥ م» ، والسكك الحديدة الضيقة تجاه مدينة «بوسانسكي برود» سنة ١٢٩٩هـ «١٨٨٢ م» ومدينة «كونيش» في ١٣١٠هـ «١٨٩٢ م» ومدينة «فيشي غراد» ١٣٢٤هـ «١٩٠٦ م» ، ثم تنظيم نهر «ميلياتسكا»، وتحديث بعض الشوارع الكبرى، وفي نفس الوقت اقيم العديد من الثكنات والبنايات العامة والمؤسسات ـ كالمتحف القطري، والمدرسة الثانوية، والمستشفى، ودار القضاء، والمسرح الشعبي وبناية السوق، ثم فندقي «أوروبا» و«سنترال» والبنوك، ومكتب البريد، والمكاتب الادارية، وغيرها ـ وأيضا عدة مشروعات اقتصادية ، كانت بداية الصناعة في سراجيفو.

ولكن كل جهود المحتل بأن يستميل سكان سراجيفو بواسطة البناء، وتحديث المدينة.. لم تحقق النتائج المرجوة للمحتل.. ان وعي سكان المدينة وبخاصة الطبقة العاملة، ادى الى مقاومة المستغلين فقامت المظاهرات والاضرابات الكثيرة التي أدت الى اشتباكات مع شرطة وجيش المحتل النمساوي الهنغاري.

أن ضم البوسنة والهرسك سنة ١٣٢٦هـ «١٩٠٨ م» الى دولة المحتل ، قد أدى الى ازدياد نشاطات العمال المنظمة ثم «بوسنة الفتية» أيضا، وهي الحركة الثورية لشباب «بوسنة وهرسك».

أن مناورات النمسا الهنغارية المستفزّة في رجب ١٣٣٢هـ يونيو (حزيران) سنة «١٩١٤ م» في منطقة سراجيفو ، التي حضرها ولي العهد «فرانز فرديناند» الذي جاء في يوم العيد القومي ٤ شعبان ١٣٣٢هـ «يوم ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٤ م»، وكانت حركة «بوسنة الفتية» قد أعدت لاغتيال ولي العهد عند زيارته لسراجيفو.

ان محاولة الشاب «نديلكو تشابرينوفيتش» لقتل «فرانزفرديناند» بقنبلة لم تنجح، ولكن طلقات مسدس «غافريلوبرنسيب» لم تخطىء الهدف. فعند «جسر لاتين» سابقا، قد أطلق النار ـ تلميذ الثانوية الشجاع، على ولي عهد النمسا ـ هنغاريا وقتله، أما الرصاصة التي كان قد وجّهها الى الحاكم «بوتيوريك» فقد أصابت قرينة ولي العهد «صوفيا». ان هذا الاغتيال في سراجيفو، قد دخل التاريخ، باعتباره سبب بداية الحرب العالمية الاولى[٤٠].

سراجيفو من الحرب العالمية الأولى «الكبرى» الى الحرب العالمية الثانية

(بعد مضي شهر على حادث اغتيال ولي عهد النمسا وقرينته في سراجيفو، اعلنت النمسا الحرب، وتتالت الاحداث ودخلت الدول الأوربية الحرب ضد بعضها البعض، وهكذا نشبت المعارك بين: المانيا والمجر والنمسا والامبراطورية العثمانية من جهة، والحلفاء: فرنسا وانكلترا وروسيا وبلجيكا واليابان، والولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة، من جهة ثانية، اسباب هذه الحرب، كثيرة منها نزعة التوسع والاستعمار، وحروب البلقان... وغيرها) ولكن السبب المباشر فكان اغتيال الارشدوق «فرانسو فرديناند» ولي عهد النمسا بيد احد الوطنيين الصرب، فعزمت النمسا على ضرب النزعة القومية في البلقان والقضاء عليها باعلان الحرب على صربيا، ومالبثت ان تداخلت التحالفات، واشتعلت الحرب في جميع انحاء أوروبا وامتدت الى تركيا والشرق، وشملت بحار العالم[٤١]..

عاشت سراجيفو خلال الحرب العالمية الاولى أياما شاقة في تاريخها، فبمجرد الاغتيال، قامت مطاردات حقيقية للصرب، وعندما بدأت الحرب

---

(٤٠) المصدر نفسه (ص٨).

(٤١) انظر: المنجد في الاعلام (ط١٦، ص٢١٦).

جرت الاعتقالات والمحاكمات ونُفي المسلمون والكروات.. وكانت المدينة طيلة ايام الحرب، كميدان حرب مباشر وظروف حالة الطوارىء، حالت دون اي نشاط سياسي، الى ان بدأت وتوالت سنة ١٣٣٥هـ «١٩١٧ م» في روسيا: ثورة فبراير (شباط) وثورة اكتوبر (تشرين الأول)... عند ذلك بدأت عملية احياء النشاط السياسي... والحركة العمالية.

وعندما أصبح سقوط المملكة النمساوية الهنغارية واضحا، خلال سنة ١٣٣٦هـ «١٩١٨ م» تحرك الساسة... من ركودهم، يجددون قيادات الاحزاب ويحاولون الاشتراك في الكفاح من اجل التحرير القومي ، ولاول مرة يحدث تقارب محدود لهذه القوى بين ممثلي شعوب البوسنة والهرسك الثلاثة، ففي محرم ١٣٣٧هـ آخر شهر اكتوبر (تشرين الأول) «١٩١٨ م» تشكل في سراجيفو المجلس الشعبي الذي تسلمت حكومته السلطة من الجنرال «ساركوتيج» آخر حاكم نمساوي هنغاري للمنطقة في أول نوفمبر (تشرين الثاني)[٤٢].

سراجيفو والتطور:

في فترة مابين عامي «١٩١٨ ـ ١٩٤١ م» وفي اطار مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين ، اي مملكة يوغسلافيا ـ تطورت سراجيفو تطورا ابطأ بكثير منه في فترة ماقبل الحرب العالمية الأولى، وظلت المدينة تقوم بوظيفة مركز البوسنة والهرسك الاداري والسياسي فقط في السنوات الأولى لقيام هذه الدولة، الى أن اصبحت خلال العشرينات ، محافظة، ومنذ سنة ١٣٤٨هـ «١٩٢٩ م» ينحصر دورها على مركز مقاطعة «درينا» وقد ازداد عدد السكان من «٦٦٣١٧» نسمة في سنة ١٣٣٩هـ «١٩٢١ م» الى «٧٨١٧٥» في سنة ١٣٥٠هـ «١٩٣١ م»، مع الازدياد البطيء في الثلاثينات،

---

(٤٢) انظر: سراييفو (ص١١ ـ ١٢).

ولكن الامكانيات الاقتصادية للمدينة كان ازديادها ضئيلا جدا.. وعاشت المدينة حياة فقيرة على التجارة الصغيرة والمهن وغيرها، وخلال هذه الفترة، لم ينفذ أي مشروع صناعي أو بلدي أو تعليمي أو ثقافي ذو أهمية.. ان الركود والاهمال.. كان الميزة العامة لتاريخ سراجيفو خلال وجود يوغسلافيا الملكية، فعاش جزء كبير من السكان ، حياة فقر حقيقي، وعلى سبيل المثال ماذكره رئيس بلدية سراجيفو في تصريح له : ان ربع سكان سراجيفو خلال شتاء «١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ م» كان جائعا.

... اشتركت منظمات عدة في سراجيفو مثل: منظمة النقابات الثورية واتحاد الشبيبة ليوغسلافيا واتحادات النساء، وبعض النوادي العمالية الثقافية والرياضية، خلال ١٣٣٧ ـ ١٣٣٨هـ «١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م» ، بنشاط كبير في جميع الاحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والثقافية الهامة في البلاد، والمدينة... ونَظمت عدداً كبيراً من المظاهرات، والاجتماعات العامة والاضرابات الاقتصادية والسياسية، وغيرها من أنواع النضال.. السياسي والاقتصادي ، بسبب الغلاء، وتحسين اوضاع العمال وأجورهم...

أن هذه النشاطات الاقتصادية ، اصبحت جماهيرية أكثر فأكثر، واتخذت الطابع السياسي.. غير ان السلطة الحاكمة كانت تقاوم هذه الحركات... فاتخذت السلطات في سراجيفو اجراءات عنيفة ، ففي رجب ١٣٣٧هـ - نيسان «١٩١٩ م» حبست حوالي، الفي عامل مع كامل قيادتهم، وبعد مدة قصيرة نفي أربعمائة منهم... ومن أول مايو (ايار) كانت نشاطات المنظمات ممنوعة بتاتا.. وفي أواخر ١٣٣٠هـ «١٩١٢ م» بدأت المحاولات الأولى للتنظيم والنشاط السري[٤٣].

وظل السكان يوالون التكتل والوقوف في وجه الظلم والاستغلال وضد

---

(٤٣) انظر: مرشد سراجيفو (ص١٧ و ١٨).

الاستبداد الذي أرهق الشعب، حيث تنامى الوعي الجماهيري ، وعبّرت الجماهير عن سخطها على الحكم بالمظاهرات تارة وبالاضرابات تارة أخرى، وتشكلت التنظيمات السرية للعمل ضد الحكم الملكي، حتى قامت الحرب العالمية الثانية.

سراجيفو والحرب العالمية الثانية:

كانت سراجيفو في فترة مابين الحربين العالميتين قد توقفت في تطورها وتعتبر تلك الفترة، مرحلة الركود السائد في حياة المدينة، وأحسن مثال على ذلك ، انّه لم تقم خلال «اثنتين وعشرين» سنة اثناء ـ مملكة يوغسلافيا ـ في سراييفو. غير بضعة مشروعات عامة وأن التمرّد على سياسة مملكة يوغسلافيا، كانت ظاهرة يومية .. ان المملكة الهزيلة سرعان مااستسلمت في عام «١٩٤١ م» فتتابعت على سراجيفو وعلى جميع البلاد أربع سنوات من الاحتلال الدامي الشرس، ولكن هذه السنوات، تمثل في آن واحد ، أمجد مرحلة في تاريخ المدينة.

ان حرب ربيع الأول ١٣٦٠هـ ابريل (نيسان) «١٩٤١ م» كانت بمثابة مأساة عظيمة ـ رغم قصرها ـ ومع أن سراجيفو كانت مدينة مفتوحة فقد القيت عليها القنابل بغزارة، وقد دُمّرت ـ في الغالب ـ المشروعات السكنية والمدنية الاخرى، وسقطت الضحايا... وعدة مئات من سكان سراجيفو وقعوا في الاسربيد المحتل النازي... وهربت الحكومة الملكية من قرية «باله» القريبة من سراجيفو الى «نيكيشيتش» ، ومن هذه البلدة الى الخارج. وفي المدينة وقعت القيادة العليا للجيش الملكي اليوغسلافي في الاسر... انها كانت ذروة خيبة الامل لمواطني سراجيفو... وقد حاولت جماعات من العمال والشبان أن ينضموا الى الجيش للدفاع عن المدينة، ولكن الحكومة الملكية رفضت ذلك، وفي يوم ١٨ ربيع الاول ١٣٦٠هـ «١٥ ابريل (نيسان) ١٩٤١ م»، دخلت مدينة سراجيفو فرقة الآليات الألمانية السادسة عشرة، بلا قتال.

ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم السادس من شهر ابريل (نيسان) سنة «١٩٤٥ م» ٢٢ ربيع الآخر ١٣٦٤هـ - حيث حررت سراجيفو، وحدات الجيش التحرير الشعبي اليوغسلافي، بدأت اشق وأحلك الأيام في تاريخها[٤٤].

سراجيفو تحت الاحتلال النازي:

في اطار مخطط هتلر لتحطيم يوغسلافيا كدولة وتقسيمها الى مناطق احتلالية وتابعة للعملاء... وقعت سراجيفو في المنطقة الالمانية المحتلة.. حيث شكل المحتل جيشا من العملاء فكانت دولة العملاء «الاوستاشا» الدولة الكرواتية المستقلة، وكان لأهمية مركز سراجيفو من الناحية الجغرافية والسياسية والمرورية والسكانية وغيرها، أن ركّز العدو فيها خلال سنوات الاحتلال الأربعة ، معسكر الجيش النازي المحتل القوى... وفي شهري آذار ونيسان «١٩٤٢ م» اعتقل عدة مئات من أبناء المدينة.. والذين قبض عليهم في الحملة الأولى كانوا: ٥٤ صربياً، ٤٢ مسلماً، ٢٤ كرواتياً. وبروستانتي واحد وقد قضي على حياة جميع المعتقلين - تقريبا - تحت التعذيب.

... وفي الاصطدامات المستمرّة مع العدو، اشترك خير أبناء سراجيفو وبناتها اشتراكا ايجابيا... وأثارت عمليات نشاطاتهم السرية يوميا ، غيظ المحتلين الألمان وعملائهم المحليين.

إن أعمال الانتقام والظلم، لم تزعزع سكان سراجيفو ، وهم من ذوي التاريخ الحافل بالنضال من اجل الحرية، فقد نمت في سراجيفو حركة سرية واسعة، واشترك اكثر من (٤٣٠٠) مواطن ، مباشرة في نضال التحرير الفدائي... كان منهم (الف وخمسمائة) ضحايا يوم تحرير مدينتهم، كان منهم (خمس وعشرون) بطلا قوميا. ثم هناك حوالي (عشرة آلاف وخمسائة) مواطن، فقدوا حياتهم ضحية الاضطهاد الفاشيستي... والجريمة الجماعية

(٤٤) انظر: سراجيفو (ص١٦ - ٢٢).

النازية الوحشية[٤٥].

انه في اليوم السادس من ابريل (نيسان) سنة خمس واربعين وتسعمائة والف للميلاد، وبعد كفاح التحرير الذي استغرق أربع سنوات قد حررت وحدات الجيش الشعبي اليوغسلافي مدينة سراجيفو.[٤٦].

وبعد عشرين يوما من التحرير، تألفت أول حكومة شعبية للبوسنة والهرسك وقد أعلن رسميا ان سراجيفو أصبحت عاصمة البوسنة والهرسك..[٤٧]

مقابر المسلمين
المقبرة الاجمل على تل على فاكوفاتس

(٤٥) انظر: مرشد سراجيفو (ص٩ . ٣٠).
(٤٦) انظر: المصدر نفسه (ص٣).
(٤٧) انظر المصدر نفسه ايضا (ص٣٠).

سراجيفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك وأهميتها

ان سراجيفو هي عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك.. ومركزها الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والتعليمي، والعلمي، والثقافي.. وفيها مقر رئيس الجمهورية ومجلس النواب، والمجلس التنفيذي لجمهورية البوسنة والهرسك، وقيادات المنظمات ، الاجتماعية والسياسية.. واتحاد المناضلين القدماء في الحرب التحررية الشعبية للبوسنة والهرسك.. وفي سراجيفو - أيضا - مقر أكاديمية العلوم والفنون للبوسنة والهرسك والجامعة، والغرفة التجارية للجمهورية.

ان سراجيفو باعتبارها أكبر مدينة في البوسنة والهرسك، من عدة قرون كانت مركزا حقيقيا لهذا البلد، ولعبت دورا هاما طيلة تاريخه. وقد تركزت وقامت في هذه المدينة - التي كانت ميدان صدامات اجتماعية وسياسية كثيرة - التيارات والمتحولات على مجال واسع، وفي نفس الوقت، انبعثت منها تطورات، وتأثيرات حاسمة على جميع التيارات الاجتماعية والسياسية الهامة في البوسنة والهرسك، وخارجها ايضا.. وفي هذا التاريخ الصاخب،.. ظلّ كفاح سراجيفو من أجل الحرية ، يلتهب ويزداد اضطراماً أكثر فأكثر[٤٨].

---

(٤٨) انظر: سراجيفو (ص١٥ - ١٦).

الموقع والمساحة:

تمتد مدينة سراجيفو على (٤٨٦) كم[٤٩]، محاطة بمنحدرات حادة ومشجّرة بجبال هوم وتريبافيتش[٥٠]، وتريبولسكو، وأغمان، من نهاية واد ضيق لنهر «ميلياتسكا» وعبر طوله الذي يتحول من الشرق الى الغرب نحو سهل سراجيفو الواسع المنتهي بمنبع نهر «بوسنة».

ان ارتفاع المدينة المتوسط «٥٤٢ م» فوق سطح البحر، أما الأماكن المنشأة على منحدرات الجبال والتلال المحيطة بسراجيفو، فيبلغ ارتفاعها حتى «٧٠٠ م» فوق سطح البحر[٥١].

تقع سراجيفو في صميم مركز يوغسلافيا. أن النقطة، المعلمة الخاصة ـ التي تمثل مركز يوغسلافيا الجغرافي ، تقع في قرية «راكوفيتسا» والتي تبعد حوالي «١٠ كم» الى الغرب من سراجيفو ، على مقربة مباشرة من الطريق التي تؤدي الى قرية «كيسلاك»، تتميز منطقة سراجيفو بالطقس المعتدل لقارة أوروبا، مع جميع صفاتها، والفصول الأربعة..ان تقلبات الطقس تتكرر.. وخلال العقود الثمانية الأخيرة ـ منذ أن بدأ خبراء الارصاد الجوية عملهم، فان أدنى درجة حرارة سجلت في المدينة كانت «٢٦,٤» درجة مئوية تحت الصفر، في «٢٧ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٤٢ م» وأعلاها «٤٠» درجة مئوية فوق الصفر في الظل في «اغسطس (آب) سنة ١٩٤٦ م».

---

(٤٩) هذه المساحة تمثل ١٪ من مساحة جمهورية البوسنة والهرسك (سراجيفو ص١٦١).

(٥٠) جبال تريبافيتش: ترتفع أعلى قمة فيها «١٦٢٩ م» م فوق سطح البحر (سراجيفو ص١٦٨).

(٥١) انظر: مرشد سراجيفو (ص ٣).

السكان:

ان سراجيفو هي رابع مدينة ، سِعة في يوغسلافيا ـ السابقة ـ

قبل بداية الحرب العالمية الثانية عاش في سراجيفو حوالي «ثمانين الفا» من السكان وتدل الاحصائيات خلال السبعينات على أن «خمسة آلاف وثلاثمائة» عائلة في سراجيفو تحتفل سنويا بولادة جديدة وحوالي «الفي» وفاة، ان الازدياد الطبيعي للسكان في سنة «١٩٧٣ م» قد بلغ ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين» (٣٣٣٥) مواطنا جديدا ، ولكن الازدياد العددي أكبر، لأن كل سنة ينزح الى سراجيفو «ثمانية آلاف» مواطن.

وفي احصاء سنة «١٩٧١ م» بلغ عدد سكان سراجيفو «٢٩٢,٢٦٣» نسمة وأن عدد العائلات بلغ «٨٦,١٨٢» عائلة. ان معظم العائلات تتكون من ثلاثة أو أربعة أفراد ـ وأن سكان المدينة ـ الاكثر عددا ـ هم المسلمون «١٢٩,٩٠١» نسمة، ثم الصرب «٩٨,٨١٩» ، والكروات «٣٨,٠٢٦» نسمة أما البقية فهم اتباع شعوب يوغسلافيا وأقلياتها القومية الاخرى[٥٢].

أما في احصاء «١٩٩١م» فقد بلغ عدد سكان مدينة سراجيفو «٥٢٥/٩٩٠» نسمة وبلغت نسبة المسلمين فيها «٤٩٪» والصرب «٢٨٪» والكروات «١٦٪» و «٧٪» قوميات اخرى ـ (يوغسلاف).

أقسام مدينة سراجيفو:

١ ـ المنطقة الشرقية «ستاري غراد» ونسبة السكان المسلمين فيها : «٧٨٪»، STRIGRAD والصرب «١٠٪» والكروات «٢٪» واليوغسلاف «٩٪» وآخرون «١٪».

---

(٥٢) انظر: مرشد سراجيفو (ص٣).

٢ ـ المنطقة الوسطى «سنتر SENTAR» المسلمون «٥٠٪» ، والصرب «٢١٪»، الكروات «٧٪»، اليوغسلاف «٢٢٪».

٣ ـ المنطقة الشمالية «فوغوشتشا VOGOŠĆA» المسلمون «٥١٪»، الصرب «٣٦٪»، الكروات «٤٪»، اليوغسلاف «٩٪»،

٤ ـ المنطقة الغربية الوسطى «نوفى غراد NOVI GRAD» المسلمون «٥١٪»، الصرب «٢٨٪»، الكروات «٦٪»، اليوغسلاف «١٥٪».

٥ ـ المنطقة الجنوبية الوسطى «نوفو سراييفو NOVO SARAJEVO» المسلمون «٣٦٪»، الصرب «٣٥٪»، الكروات «٩٪»، اليوغسلاف «٢٠٪».

٦ ـ المنطقة الغربية «الليجا ILIDŽA» المسلمون «٤٣٪»، الصرب «٣٧٪»، الكروات «١٠٪»، اليوغسلاف «١٠٪».[٥٣]

الحياة الاجتماعية والسياسية:

سراجيفو عاصمة جمهورية البوسنة والهرسك تنقسم اداريا الى ست بلديات وهي : مركز المدينة، سراجيفو الجديدة، ايليجا، فوغوتشتشا، نوفي غراد، وستارى غراد[٥٤]، ـ كما مر معنا ونسبة كل طائفة ـ كما توجد في المدينة «ست وخمسون» وحدة ادارية محلية.

في سراجيفو ـ في السبعينات، وقبل تفكك يوغسلافيا الاتحادية ـ «تسعة عشر الف» عضو، يشارك مشاركة ايجابية في التسيير الذاتي .. ويعمل في المدينة «ثمانية وثلاثون الف» مواطن.. في «ثمانمائة وثلاثين» منظمة اساسية ، في المؤسسات والمصالح والمدارس والكليات والأحياء.

---

(٥٣) انظر: مصور مدينة سراجيفو مع الملاحق

(٥٤) بلديتا، نوفي غراد وستاري غراد مع التقسيمات الموجودة في مصور البوسنة والهرسك في الملاحق

.. جميع المنظمات الاجتماعية السياسية مع غيرها .. في سراجيفو تُكوّن منظمة اتحاد الشعب العامل الاشتراكي للمدينة[٥٥].

المركز الاقتصادي:

كانت تعد سراجيفو من مراكز يوغسلافيا الاقتصادية القوية، ان الدخل الاجتماعي الكامل في سنة ١٣٩٥هـ «١٩٧٥ م» لاقتصاد سراجيفو بلغ أكثر من «تسع مليارات» دينار، وبلغ عدد المشتغلين في سراجيفو «مائة وأربعين الف» عامل. والدخل السنوي «الفا دولار» سنويا.

... وكان في سراجيفو في سنة ١٣٩٥هـ «١٩٧٥م» «خمسون الف» عامل ذوو كفاءة عالية ومتوسطة ، و «١٠٪» منهم يحمل شهادة كلية او مدرسة عالية كما يساهم في تطوير الاقتصاد والمدينة... مايقرب من «الف وخمسمائة» عالم وباحث وفي المدينة «ثمانية وعشرون» معهدا علميا.

ان صناعة سراجيفو ... قد ازدهرت ... وتخرج يوميا عشرات من المنشآت الصناعية الحديثة: سيارات ، محركات، ديزل ونفاثة ومحولات وعجلات ودرجات واسلاك... ومعدات، كهربائية وأجهزة تدفئة، وأجهزة أوتوماتيكية وأدوات صيدلانية وأدوات تجميل وأجهزة بصرية وبُسُط، والملابس الجاهزة والسجاير والكتب والمجلات والجرائد ومختلف المنتوجات الغذائية وغيرها.

المركز الثقافي:

سراجيفو هي مركز علمي وثقافي وتعليمي للبوسنة والهرسك ، فيها «جامعة سراجيفو المؤسسة من عام ١٣٦٨هـ ١٩٤٩ م» وهي احدى أكبر مؤسسات التعليم العالي في يوغسلافيا ـ السابقة ـ، ان الامكانيات المتزايدة تعطي سراجيفو الفرصة بأن تصبح أكبر مراكز البلاد العلمية، يعمل في

---

(٥٥) انظر: مرشد سراجيفو (ص٣).

سراجيفو «ثلاثة وثمانون» معهدا ومؤسسة ثقافية ، وفي المدينة «ثماني عشرة» دارا للسينما، و«سبع مكتبات» و«سبع وعشرون» دارا للثقافة، و«أربع جامعات» عمالية وشعبية، و«عشرة نواد» لهواة الفنون والثقافة... كما في سراجيفو «أربعة مسارح».

ان المكتبة القومية، التي هي أقدم مؤسسة ثقافية في سراجيفو ، هي مكتبة «غازي خسرو بك»، وقد أسست سنة ٩٤٣/ ٩٤٤هـ «١٥٣٧ م»، وتضم ثروة من الكتب والمخطوطات والوثائق في اللغات الشرقية - ومنها العربية - وتحوي على مخطوط للقرآن الكريم، وهو فريد في الجمال، وقد كتب بناء على طلب من الوزير الأعظم «محمد باشا صوقولو فيتش»، ولم يكشف عنه الا سنة ١٣٢٠هـ «١٩٠٢ م» في مسقط رأسه «صوكولو فيتشي» قرب «فيشي غراد»، ان هذه النسخة من القرآن الكريم تمثل قمة فن الخط الشرقي - العربي - وتمتلك سراجيفو في مكتباتها ومؤسساتها العلمية، أكثر من «مليون ومائة الف كتاب[٥٦]».

... اشتهرت سراجيفو بعديد من المهرجانات الثقافية الدولية والمحلية... وتعتبر سراجيفو في مجال الطبع والنشر مركزا، على الصعيد اليوغسلافي... وهي أيضا مركز صدور الجرائد والمجلات في البوسنة والهرسك، كما ان صناعة الأفلام السينمائية تتركز في سراجيفو ... وان الإعلام المسموع والمرئي، له أهميته في سراجيفو وتعتبر دار الاذاعة والتلفزيون في سراجيفو التي افتتحت في منطقة «علي باشا» من المؤسسات المتقدمة الحديثة...

ويمكن القول بأن سراجيفو تعتبر مدينة الطلاب ، اذ ان حوالي «مائة الف» طالب من سكان سراجيفو يدرسون في المدارس الابتدائية والثانوية والجامعة

---

(٥٦) انظر: مرشد سراجيفو (ص٤ - ٥) - (هذه المكتبة وغيرها من المعالم الاسلامية لم تسلم من التدمير وحرق الكثير من الكتب والمخطوطات الأثرية انظر في الملاحق قائمة بالمعالم الاسلامية التي دمّرها الصرب).

، ويزيد عن «ثلاثة آلاف معلم واستاذ» يعملون في مدارس سراجيفو.

وفي جامعة سراجيفو يوجد «ثلاث وعشرون كلية ومدرسة عالية»

المتاحف:

١ ـ ان المتحف القطري: أحد أقدم المؤسسات العلمية في جزيرة البلقان، المؤسس سنة ١٣٠٥/ ١٣٠٦هـ «١٨٨٨ م» ، يتكون من أربعة أجنحة تحيط بساحة تقام فيها نماذج مدهشة من أحجار «ستيتشاك».. وفي مكتبة المتحف نجد، كثيرا من الكتب والمخطوطات القيمة جداً.

٢ ـ متحف مدينة سراجيفو: أسس عام ١٣٦٨هـ «١٩٤٩ م» يجمع ويعرض المعروضات التي تمثل تاريخ المدينة السياسي والثقافي والاقتصادي، من أقدم الأزمنة حتى اليوم ، وفي المتحف نموذج مصغر لسوق سراجيفو القديمة ، هذه المعالم الممثلة تمثيلا صحيحا مع تفاصيل كثيرة لم تعد موجودة اليوم، بعد تلك الحروب والحرائق التي أصابت المدينة.

٣ ـ متحف بوسنة الفتية: سنة ١٣٧١هـ «١٩٥٢ م»، وكرّس لذكرى الاغتيال المشهور في سراجيفو، الذي حدث أمام المبنى الذي اصبح متحفا اليوم. وامام المبنى في المكان الذي اطلق منه «غافريلو برنسيب» الرصاص، ونُحت على الاسفلت، قدمان يمثلان وضع غافريلو عند اغتيال ولي عهد النمسا، ان متحف بوسنة الفتية يضم مايمثل ذلك الوقت بصور وأدوات.

٤ ـ متحف الثورة: في البوسنة والهرسك المؤسس في ١٣٦٤هـ «١٩٤٥ م» فيقع في مبنى حديث في حي «مارين دفور» ، ويملك أكثر من «مائة الف» قطعة ووثيقة وصورة فوتوغرافية وعمل فني وجريدة ومجلة وكتاب، التي تحدثنا بوضوح عن تطور الحركات العمالية، وكفاح التحرير الشعبي والثورة في البوسنة والهرسك[٥٧].

مساجد سراجيفو:

يذكر الرحالة «أوليا جلبي» ، في القرن السابع عشر الميلادي : ان ثمانية مساجد شيّدت في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، جميعها، كان أجملها مسجد غازي خسروبك، كما شيد في ذلك الوقت ايضا، عدد من التكايا ، منها «تكية الدراويش»، المولوية، ومازالت باقية، وهي التكية المعروفة باسم «سنان تكه سي» - تكية سنان - ، وقد أنشأها «حاجي سنان آغا» المتوفى سنى «١٠٤٩ هـ - ١٦٣٩ م».. وفي سراجيفو «مائة وست مساجد[٥٨]».» - (وفي هذه الأيام تزيد المساجد عن هذا العدد كما علمت عند زيارتي لسراجيفو في الثمانينات، كما رأيت أن بعض المساجد في المدينة قد تحولت الى متاحف مثل متحف سراجيفو - الذي سبق ذكره - وكان مسجداً لمدرسة الشريعة الاسلامية السابقة). وفي تقرير نشر عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م وضّح ان (٩٣) جامعاً كانت في حالة خراب بعد انسحاب الجيش النمساوي من سراجيفو، بينما رُمّمت الجوامع الأخرى بسرعة لتقام فيها الصلاة وهي: احد عشر جامعا، وهذا يدلنا على مالحق بمعالم الاسلام في سراجيفو.

جامع ومسجد غازي خسرو بك:

يعتبر جامع خسرو بك ، أول مبنى ديني اسلامي أضيء بالكهرباء سنة ١٣١٦هـ «١٨٩٨م» وبرج الساعة الذي منذ سنة ١٢٩١هـ «١٨٧٤ م»

---

(٥٧) انظر: مرشد سراجيفو (ص٥ - ١١).

(٥٨) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (م١١ ص٣٣٨ - ٣٤١) ولمعرفة مالحق بمساجد وجوامع سراجيفو بأسمائها بعد الاحتلال النمساوي انظر: كتاب الاسلام في يوغسلافيا من بلغراد الى سراييفو (ص٢١٩ - ٢٣٣) حيث احصى مؤلفه د . محمد .م . الأرناؤوط (١٠٤) جامع ومسجد وهي التي كانت مبنية حتى انسحاب النمساويين.

تشير ساعته[٥٩]. الى الوقت، بالتوقيت الشرقي ـ الغروبي، إن جامع خسرو بك بعظمته وجاذبيته يتجاوز جميع آثار التراث الثقافي لسراجيفو، وهو تحفة فنية رائعة، واكبر مثال للهندسة المعمارية الاسلامية، في هذه البقعة من العالم.

ان مصمم جامع خسرو بك، كان أكبر معماري تركي في تاريخ العمران أيام الامبراطورية العثمانية وهو «المعماري سنان» الذي صمم الجسر الكبير على نهر «درينا» في فيشي غراد، بعد «اربعين سنة» من بناء جامع خسرو بك الذي هو وقف لحاكم «سنجق البوسنة»، بناه المعماريون من «دوبروفنيك» سنة ٩٣٧/ ٩٣٨هـ «١٥٣١ م». ان معظم المعابد الاسلامية تكون في ساحاتها ، نافورة (وبركة ماء) يستخدمها المصلون ، للوضوء ، ان النافورة الحالية في ساحة (الصحن) جامع خسرو بك ـ حاكم سنجق البوسنة ـ يرجع بناؤها الى سنة ١٣١٠/ ١٣١١هـ «١٨٩٣م»، ولكنها اقيمت في نفس المكان الذي كانت فيه نافورة قديمة منذ بناء الجامع[٦٠].

في مسجد خسرو بك ـ هذا ـ تقام الصلوات الخمس، وتتم قراءة القرآن من الحفّاظ، وفي كل يوم جلسة توحيد وذكر بعد صلاة الظهر ، يقرؤون فيها جزءا من القرآن الكريم، ثم يذكرون الله «لا اله الا الله» الف مرة[٦١]

وجامع خسرو بك ، له تصميم معماري مركب، ان الجزء المركزي ذو الشكل المربع تغطيه قبة قطرها «ثلاثة عشر مترا» وارتفاعها «ستة وعشرون مترا»، في حين ان اضافات هذا الجزء المركزي ، تغطيها القبب الصغيرة وشبه القبب، كما تغطي القبب النافورة والضريحين اللذين دفن فيها: غازي خسرو بك «١٥٤١ م» وأسيره ـ الذي اصبح فيما بعد صديقه وكبير رجاله

---

(٥٩) ساعة البرج، مستوردة من لندن

(٦٠) انظر: سراجيفو (ص١٣٦).

(٦١) انظر: مجلة العربي العدد ٣٦٤ (ص٨٣).

«مراد بك تارديتش» المولود في «دلماتسيا».

أن ضريح غازي خسرو بك يكمن في ظلال اشجار الزيزفون.. وقد وضعت فوق التابوت مخطوطات من القرآن الكريم، وشمعدانات للشموع لم تشعل حتى يومنا هذا.

وجرت العادة أن يدفن كبار المسلمين بجوار الجامع. وكذا الحال حول جامع فرحات، المشيد في القرن السابع عشر..[٦٢].

جامع علي باشا:

في قلب مدينة سراجيفو، وعلى مقربة من ميدان المدينة الأكثر ازدحاما، تقع لؤلؤة حقيقية للهندسة المعمارية الاسلامية،«جامع علي باشا»، ويعتبرونه ... تحفة الهندسة المعمارية من العهد العثماني، في الفترة التي بلغت فيها أوجها . ان هذا الجامع بابعاده غير الكبيرة، لكنّ جمالها وتنسيقها الواضحين يعطيان انطباعاً، لايقاوم في العظمة، .. فقد ظل كما هو في المدينة ، حيث تعلو المباني الحديثة، وتوجد في ساحته نافورة وضريح فيه قبران ...[٦٣]. وهو وقف علي باشا من القرن السادس عشر[٦٤].

جامع السوق «باشتشاريا» (الحاج دوراق):

في الجزء الاسفل من (السوق) باشتشاريا ، يرتفع احد مباني الهندسة المعمارية الدينية الاسلامية الجميلة في سراجيفو «جامع السوق» الذي اقامه وأوقفه «خواجه دوراق».

وقد سمي بجامع باشتشاريا ، لقربه المباشر من الميدان الرئيسي.

---

(٦٢) انظر: سراجيفو (ص١٣٤ و ١٢٦).
(٦٣) انظر: المصدر نفسه (ص١١٩).
(٦٤) انظر: مرشد سراجيفو (ص ١٠).

لقد أقيم هذا الجامع في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وقد صمم قسمه الداخلي بطريقة رائعة لاستقبال ضوء النهار، بالاضافة الى انه صمم لايصال الصوت الى أسماع المصلين بكل وضوح.

جامع السلطان «تسار»:

ان جامع «السطان» هو أثر فريد من البناء الاسلامي، يقع على الضفة اليسرى لنهر «ميلياتسكا» ويوصل بينه وبين باشتشارتشي، جسر تسار، «جسر جرايتتش» - اليوم - .

ان هذا الجامع قد اقيم وفق «فرَمان» السلطان سليمان العظيم «القانوني» سنة ٩٧٣/ ٩٧٤هـ «١٥٦٦ م». وقد شيد أمام الجامع مقر علماء المجلس (الاسلامي) ، له أروقة متصلة بأقواس جديدة مع سبع قباب. وبهذا التنسيق ارتفع هيكل عمودي بارز ، واضح البروز للمئذنة الحجرية التي قال عنها البعض ، انها أجمل مئذنة في البلقان[٦٥].(قصف عدة مرات في الحرب الطائفية الدائرة - الآن - بعد استقلال البوسنة والهرسك عن الاتحاد[٦٦].

... وهناك مساجد أخرى في سراجيفو كجامع «فرهاد بك» المشيد في القرن السابع عشر، من أوقاف فرهاد بك - السنجق بك البوسنوي - الذي ولد في منطقة سراجيفو... وايضا جامع الحُجّاج في اسفل حي «علي فاكوفاتس» الذي مازالت حنفية الماء - السبيل - تجري مخترقة جدار ساحته، لتروي المارة ، منذ القرن الماضي، الى الآن[٦٧].

---

(٦٥) انظر: سراجيفو (١٣٢).
(٦٦) انظر: القائمة بالمعالم الاسلامية المدمرّة في الفصل الأخير والملاحق.
(٦٧) المصدر نفسه (ص١٢٥).

باش تشارشيا — مركز تجارى و حرفى فى سراييفو ، يضم
اكثر من ٥٠٠ و فيه عدد كبير من الاثار الاسلامية

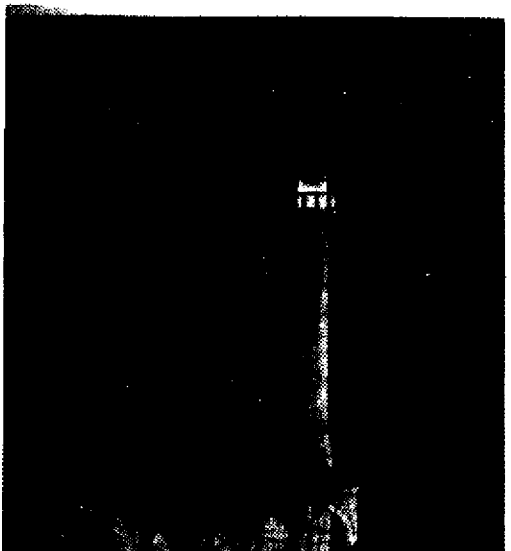

معالم سراجيفو مساء

معالم سراجيفو:

ان سراجيفو القديمة التي احتفظت بمناظرها ومظاهرها الرائعة والامثلة كثيرة: كحي «باتشارتشي» (السوق القديم) بكل جاذبيته، والتزيينات التي تخلقها المناظر الرئعة للاحياء والمساكن القديمة المحيطة بالمدينة، والمزدحمة في التلال على شكل مدرّج، كل هذا يمكن تقديمه كمتعة للسياح.

ان سوق المدينة القديمة ـ هي اليوم نفس ماكانت عليه في الماضي ـ : قلب الحِرَف والتجارة، وملتقى الناس، ومركز الاحداث الكثيرة.

ان الأزقة الضيقة التي كانت في الماضي، مقر اصحاب الحِرَف ـ المنظمة ـ والتي سميت حسب صناعتهم ، قد فقدت مع الزمن كثيرا من مميزاتها الحرفية والتجارية، ولكن، فقد بقي أحد الأزقة ـ الى الان ـ وهو «كازانجيلوك» ـ سوق النحاسين.

أن النحاسين ـ تماما ـ مثل اجدادهم قبل اربعة قرون، وعلى مرأى من المارة، ومحبي الاطلاع ، يصنعون النحاس بصبر،ويحولونه بمهارة أيديهم الى أدوات تذكارية فريدة.

ان جامع خسرو بك .. وبنايات اقيمت قبل اربعة قرون: مدرسة القرشملية، وبرج الساعة، والامارة ـ وهي مطعم لتوزيع الطعام مجانا ـ وبيزاستان .. وضريح غازي خسرو بك في ساحة الجامع، كل ذلك يمثل مفاتن من العهد الذي عاشت فيه المدينة «الفترة الذهبية للنشاط المعماري».

ونجد على مقربة من المعالم السابقة، مبانٍ مدهشة وآثاراً ثقافية قيّمة منها: «جامع فرحات بك» و «بزاستان بروسا» و «خان موريتش» المبنى الوحيد الذي بقي من بين خمسين خاناً، كان ينزل فيها المسافرون والقوافل، ومعابد دينية قديمة للطوائف الأخرى.

وبجانب المباني القديمة لسوق سراجيفو، نجد ايضا ، مبنى البلدية الذي افتتح سنة ١٣١٤هـ «١٨٩٦ م» على الطراز العربي،، وايضا تقع فيه - اليوم - المكتبة القومية والجامعية للبوسنة والهرسك، وأكاديمية العلوم والفنون للبوسنة والهرسك.

وتبعد قليلا عن باتشارتشي، أسوار المدينة، المقامة في النصف الاول من القرن الثالث عشر، بعد اقتحام «ايوجين سافوي» النمساوي، ثم تكية «الحاج سنان»، وهي مقر الدراويش في الماضي ، و «بيت سفرزو» وهو نموذج طبق الاصل عن هندسة المساكن في سراجيفو من العهد العثماني، وانشىء قبل عدة قرون.. ثم «حمام غازي خسرو بك» الحمام العام للمدينة من القرن السادس عشر ، الذي اصبح اليوم «ملهى ليلياً» والكاتدرائية المبنية سنة ١٣٠٦هـ «١٨٨٩ م».

وتمثل مقابر سراجيفو القديمة قيمة خاصة. وهي الواقعة على المنحدرات حول المدينة ، وخاصة المقبرة في «تل علي فاكوفاتس[٦٨]».

والمقابر الاسلامية لها ميزة خاصة، فكأنها بقع ثلجية رفيعة وطويلة وهي جزء لايتجزأ من صورة حية للمدينة ، حولها وفيها بحيث لايظلم الموت الحياة، ولاتشوه الحياة الموت، ان هذه المقابر حول سراجيفو مع «نياشينها» البيضاء، توحي بالاطمئنان والوقار والجمال[٦٩] ...

---

(٦٨) انظر: مرشد سراجيفو (ص١٠).
(٦٩) انظر: سراجيفو (ص١٢٠).

أحياء سراجيفو:

ان سراجيفو قد انقسمت ـ منذ العهد العثماني ـ الى أربعة أحياء.. وكانت تمتاز باحترام الجيران بعضهم البعض، بغض النظر عن قومية أو ديانة الناس، وفي الماضي كان في المدينة حوالي ستين محلة، وفي تقرير من سنة ١٢٩١ ـ ١٢٩٢هـ «١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ م» تأتي الاسماء التالية: محلة سلطان، محلة البك، محلة آياس باشا، بيستريك، بالي بك، اسكندرية، محلة فرحدية، كوشفا، محلة شوريشتش، مجودة، محلة عبد الله باشا، توبوي، محلة القاضي، علي فاكوفاتس، بغواتس، باسترمة، بلوشا، غورنا حيتسا، جماعة الحاج مصطفى، محلة فضلي آغا، المحلة الجديدة، الخندق، بركوشا، زقاق شيروكاتشا، كمالوشا... وكثير غيرها، وهذه الاسماء للأحياء، تبين اللغة المحلية وارتباطها باللغة التركية.

كان لكل حيّ من احياء سراجيفو.. جامع خاص، فكانت تسمى رسميا، حسب أسماء بُناتها وفي كثير من الاحيان، كانت معابد صغيرة خشبية، ولكن بُني معظمها على طراز أجمل المباني الدينية الاسلامية.. وحتى اليوم، فإن اسماء الجوامع، تعتبر مصدر تسمية تقليدية أو رسمية لاسماء عدد كبير من المحلات والأحياءوالشوارع...(٧٠)

ان مدينة سراجيفو مدينة متقدمة في العمر، وان آثار الأزمنة والعهود الماضية تجعلها جميلة، ولقد انطبعت روح الانسان في كثير من أشكالها وعلاقاتها وتراكيبها العتيقة، وفي قيمها المادية والروحية.

ان سراجيفو مدينة اصيلة، في اشكالها الاساسية، ومدهشة في تنوعاتها.

انها مدينة لها ماضيها، ولها سحرها وعاشقيه، ولها نهرها، ومسالكها

---

(٧٠) انظر المصدر نفسه (ص١١٤ ـ ١٤٢).

ومسافريها... قد عاشت سراجيفو ازدهار النشاط المعماري في القرن السادس عشر حيث كانت اجمل وأغنى مدينة في هذا الجزء من البلقان.. وسراجيفو هي المدينة التي عاشت قرونا في توافق مع التطور الطبيعي، وقد قامت وتطورت مع خلاصات الثقافات والحضارات المختلفة المتباينة أحياناً، ويتضح ذلك في كل مكان وفي كل منظر، أن مآذن الجوامع، والعربات الكهربائية المعلقة، تستمر وتعيش مع بعضها وكل ماهو قديم يُحافظ عليه، كما يُقبل كل جديد قيم[٧١].

ملتقى الطرق:

ان سراجيفو منذ القديم مدينة لمفترق الطرق الهامة، وتجارة متطورة وسوق عرّجت اليها قوافل لاتحصى، معها رحّالة وكتّاب رحلات، قد أُعجبوا وتحمّسوا لسراجيفو فأشهروها وعرّفوا بها جوانب العالم الأربعة، وزادوا من شهرتها.. ومازالت المدينة ملتقى طرق السيارات والسكك الحديدية والطائرات[٧٢].. (في سراجيفو يلتقي الشرق والغرب، ان السائحين يأتون من كل حدب وصوب من القارات الخمس، ليروا المدينة التي كان منها أحد الاسباب الهامة في قيام الحرب العالمية الأولى).

الجسور :

ان الجسور على نهر ميلياتسكا، تمثل معالم سراجيفو الخاصة، وأقدم هذه الجسور، وأجملها هو: جسر الماعز أو جسر العنزة، وقد بني في القرن السادس عشر، وكانت عبره تؤدي الطريق الى القيصرية التي تصل سراجيفو باستنبول[٧٣].

---

(٧١) أنظر البوسنة والهرسك/ الناشر: الاستعلامات للمجلس التنفيذي لجمهورية البوسنة والهرسك، سراجيفو «١٩٧٤م» (ص٢٧٤ - ٢٠٢٠).

(٧٢) انظر: مرشد سراجيفو (ص٧).

ويقوم جسر العنزة (كوزيا كوبري) في مخرج المدينة نحو الشرق ومبني بشكل قوس طوله «اثنان وأربعون مترا»، وهو من أجمل الجسور من العهد العثماني في البوسنة والهرسك. وليست هناك معلومات حقيقية عن بانيه، ولكن نجد أن الشعب يحكي قصة وهي: أن راعيا اسمه «محمد» كشف عن كنز مدفون في كهف قريب، عندما كان يرعى العنز (الماعز) في وادي «بارتشي».. ويسترعي النظر القول بأنه عند هذا الجسر كان يقام استقبال حافل لكل شخصية تأتي الى البوسنة واليا عليها، ثم كان الحُجّاج يُودَّعون ويُستقبلون هنا عند مغادرتهم الى مكة المكرمة والعودة منها.

ومن هنا وعلى طول مجرى النهر، أقيمت عدة جسور: جسر «شهر كهايا» وجسر «القيصر أو جرايتش» سنة ١٣١٥هـ «١٨٩٧ م» وجسر «برنسيب أو لاتين سنة ١٢٠٣هـ - ١٧٨٩م»، وجسر «كوموريا ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦ م» ذو الهيكل الفولاذي وقد استعمل لاول مرة عند إقامة سكة حديد: زينيتسا - بوسانسكي برود، ثم جسر «جمنا زيوم أو درفينا» سنة ١٣١٧هـ «١٨٩٩ م»، وجسر «جوبانية سنة ١٣٠٥هـ ١٨٨٨م»، وجسر «اسكندرية سنة ١٣١١هـ ١٨٩٣ م»، وجسر «فربانيا»، ان معظم الجسور الحالية قد سبقتها الجسور المقامة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ومن بين الجسور الحديثة، يبرز الجسر الجديد «اسكندرية» جسر الاخوة والوحدة، ثم جسر «زيفكويشيلو» وجسر «الشباب» في «جينيكيتش فيلا».(٧٤)

المدينة الرياضية «الاسكندرية»:

... ان الاسكندرية ، هي مركز سراجيفو الرياضي والثقافي والاجتماعي، والاقتصادي، مع حوالي «اربعين الف» م^{٢} من المساحة الموزعة على خمسة

---

(٧٣) انظر: البوسنة والهرسك (ص١٢٥).
(٧٤) انظر: سراجيفو (١١٨).

مشروعات رئيسة: قاعة المدينة، القاعات الرياضية، السوق التجارية، دار الشباب وميدان الزهور، انه يمثل بميزاته الكثيرة، مركزا فريدا للمدينة، منذ افتتاحه في يوم ١٩ رمضان ١٣٨٩هـ «٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ م». ويمكن تنظيم كل شيء في اسكندرية: المباريات الرياضية، المؤتمرات والمعارض التجارية والندوات، والمعارض ، والحفلات السينمائية والمسرحية والموسيقية، والتزحلق[٧٥]، والمهرجانات وغيرها[٧٦].

ان مركز اسكندرية الرياضي والثقافي . قد وفر لسراجيفو معالم جديدة وهي من عمل المهندسين المحليين من سراجيفو: «جيفورادیا نكوفيتش» و «خالد محاصيلوفتش» و «بوريس ملكين» وقاعة المدينة فيها تتسع الى «ثمانية آلاف» مقعد، ثم القاعات الرياضية، وهذا المشروع قد أدرج عاصمة البوسنة والهرسك بين مدن الاسواق الكبيرة[٧٧].

المتنزهات :

ان سراجيفو محاطة بالجبال المشجرة والجمال الطبيعي النادر.. وعلى مقربة من المدينة تقع جبال تريبا فيتش، وياهورينا، وتريبولسكو، وأغمان، وليست بعيدة عنها جبال بيلاشنيتسا ، ورومانيا، وتريسكا فيتسا.

أن جبال ياهورينا، على مسافة «اثنين وثلاثين كيلومترا» من المدينة، وهي كمركز شتوي للتزحلق.. وتسمى «الغادة الثلجية» ، ان فندق ياهورينا الحديث، والشبكة الجيدة من المصاعد الكهربائية المعلقة.. وفي الطريق نحو ياهورينا تقع جبال، تريبافيتش المكسوة بالغابات، وتمثل احدى متنزهات

---

(٧٥) في عام «١٩٨٢ م» اقيمت الالعاب الاولمبية الشتوية في سراجيفو وكانت اسكندرية مركز التزحلق الفني على الجليد

(٧٦) انظر مرشد سراجيفو (ص١١).

(٧٧) انظر: سراجيفو (ص١٠٨).

سراجيفو الجبلية والاكثر ارتيادا والتي نصل اليها بمدة اثنتي عشرة دقيقة بالمصاعد الكهربائية المعلقة، أو في مدة أكثر قليلاً بالسيارة. ومتنزه «تسريبولسكو» هو في نفس الوقت منطقة صيد مشهورة، يبعد قليلاً عن سراجيفو.

اليجا ILIDŽA:

في سهل «سراجيفو» تقع متنزهات «اليجا» وهي عبارة عن مصحات كبريتية مشهورة منذ العهد الروماني، فيها حدائق كبيرة ومنظمة جيدا، رائعة الجمال، يعتبر منتجع «اليجا» من أفضل منتجعات جمهورية البوسنة والهرسك.. يقع في ضواحي مدينة «سراييفو»، المدينة الغنية بتراثها الثقافي والتاريخي، وبالقرب من «اليجا» يوجد نبع «نهر بوسنة».

والطريق الموصلة اليه وطولها «ثلاثة كيلومتر»تحفها من جانبيها أشجار موغلة في القدم، والوسيلة الوحيدة لعبورها عربة يجرها حصانان، تذكرنا بالايام الخالية، وتنتهي بالوصول لنبع البوسنة، ويطل على هذا النبع جبل «اغمان» الشامخ المكسو بالغابات، يقع المنتجع على ارتفاع «٤٩٩ مترا»فوق سطح البحر، وقد أقيمت فوق مياه النبع، مقاهٍ واستراحات تخلب الألباب، ان المياه الصافية والباردة، تجري من حوالي «١٠٠» منبع وتصب في مجرى واحد تكوّن «نهر بوسنة».

وكان الرومان والأتراك من بعدهم يستعملون مياهه للمعالجة، وتصل حرارة مياه المعالجة المعدنية الى «٥٨» درجة مئوية، وهي غنية بالكالسيوم وغيره...(٧٨)

---

(٧٨) انظر: يوغسلافيا ـ الحمامات المعدنية... المطبعة السياحية ١٩٨٤م/ ت: زهير خوري (ص١٢).

كما توجد في منطقة سراجيفو ، عدة متنزهات أخرى معروفة مثل: «باله[٧٩]». وهي مصح هوائي نقي، تقع بين جبال رومانيا وياهورينا، ثم «كيسيلاك» المصح المائي المعدني والهوائي ، ويبعد عن سراجيفو «اربعة وثلاثون» كم، ثم «فونيتسا» التي تبعد عن كيسيلاك «عشرين كم»... وعلى مسافة حوالي «ثلاثين كم» في اتجاه الشمال الغربي من سراجيفو، قريبا من قرية «سردني» يقع «كهف بيانبار» ذو القاعات الاربع تحت الأرض، وكثير من الاشكال الكهفية الجميلة.

الفنادق والمطاعم:

أن اشهر فنادق سراجيفو، فندق «أوروبا» وهو أكبرها ثم «بريستول» وهو أحدثها... وفندق «تيرما» في الليجا، كما توجد وسط المدينة فنادق «سنترال» و «ناسيونال» و «زغرب» و «بلغراد» و«بوسطة» و «ستاري غراد» وغيرها.. أما المطاعم فهي متعددة وتقدم الاطعمة الغربية والشرقية مثل: المشاوي والكباب، وغيرها... ثم الحلويات، وهي مشهورة جدا ، كالبقلاوة، والقطايف، والتفاحية.. وغيرها[٨٠].

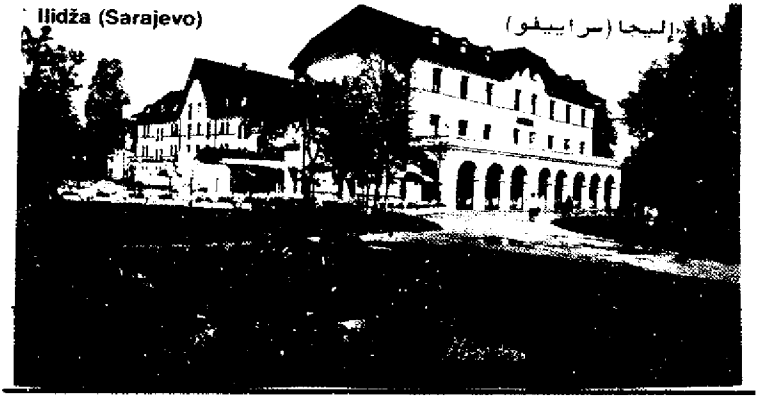

(٧٩) باله انظر: قائمة مدن البوسنة والهرسل في آخر الفصل الأخير من الكتاب.
(٨٠) انظر: مرشد سراجيفو (ص١٢ - ١٣).

سراجيفو الجميلة... دائماً:

(ان جمال سراجيفو هو الذي اثبته الكتّاب في كتاباتهم، والشعراء في قصائدهم والزّوار في انطباعاتهم، جمال الطبيعة في سراجيفو لايمكن ان يوصف بشكل عادي، وانه هِبة الخالق العظيم، الجمال الأخّاذ والمشاهد البديعة، وينابيعها الكثيرة، وماؤها الرقراق، وطيبة أهلها، وخاصة اذا كان الزائر عربيا او مسلما، فإنه سيشعر بكل مايجعله كأنه بين أهله، ومهما أجاد الوصّافون وبرع المتكلمون لايمكن ان يوفون سراجيفو حقها. وليس من يقرأ ويسمع، كمن رأى واختبر)!.

.. . سراجيفو متحف مفتوح لجيش عارم من السياح... يشاهدون... هذا الخليط من القديم والجديد، بين الشرق وأوروبا، بين القباب الرصاصية والشبكات المعدنية، وبين الثلج والازهار، وبين الصناعة الآلية والأعمال اليدوية.. تكاد تكون سراجيفو جسرا لجميع العُهود الحضارية التاريخية ، التي اعطت كل منها لسراجيفو، طابعا لها... فإنها متحف للمتنوعات، و كما يقال : هنا توقف الشرقوالغرب.(٨١)

سراجيفو من المدن التي قتلها الحصار:

.. ان «سراجيفو» من المدن التي يسكنها اكثر من نصف مليون نسمة،

---

(٨١) انظر: البوسنة والهرسك (ص٢٠٠ ـ ٢٠٨).

وهي من اجمل واعرق مدن البلقان، كما تتميز بالتعايش بين العديد من الاديان والقوميات، تجري إبادتها بالنار والجوع سيضاف اسمها لقائمة المدن التي قتلها الحصار والتي كان الظن ان آخرها «ستالينغراد STALIN GRAD[٨٢]»..فالقوات الصربية التي تدّعي انها غير نظامية ـ مع انها تضرب المدينة بصواريخ ارض ارض، ـ لاتفرّق في الاهداف. وعشية اجتماع مجلس الامن قاموا بضرب طابور من النساء والاطفال الواقفين امام احد المخابز للحصول على الخبز، وهو آخر ماتبقى من المأكولات في المدينة، التي أكل سكانها ورق الشجر، كما ضربوا في نفس اليوم مستشفى للولادة وحمل الاطباء. كما يقول المراسلون الاجانب ـ النساء فنزلوا الى المخبأ حيث ولد بعضهن على الدرج[٨٣]

الدكتورة «بنت الشاطىء[٨٤]»في مقال نشرته جريدة الاهرام المصرية في ٣ذو الحجة ١٤١٢هـ ١٩٩٢/٦/٤م مما قالته: ـ يعيش المسلمون الآن محنة حقيقية، ليس في يوغسلافيا وحدها ـ حيث تدك مدافع الصرب والكروات مدن وقرى جمهورية البوسنة والهرسك ليلا ونهارا، فتشرد نحو مليون مسلم وتقتل نحو ثلاثة عشر الف مسلم ـ ولكن في سبع وثلاثين دولة يتعرض فيها الآن ـ حسب احصائيات المنظمات الدولية ـ نحو عشرة ملايين مسلم للطرد والذبح والقتل والتشريد.

والمحنة التي يتعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك نموذج صارخ لمحنتهم في الدول الاخرى لان مايجري الآن ـ جهارا نهارا تحت سمع وبصر

---

(٨٢) ستالينغراد: اسم حملته مدينة «فولغوغراد السوفياتية» بين ١٩٢٤ ـ ١٩٦١، اشتهرت بمقاومتها للحصار الالماني في الحرب العالمية الثانية وكانت من اسباب هزيمة المانيا

(٨٣) انظر: مأسات المسلمين في البوسنة والهرسك/ محمد جلال الكشك يكتب التراث الاسلامي ط١، القاهرة ١٩٩٢م (ص٤٣ـ٤٤) نقلا عن التايمس اللندنية ٢٩/٥/١٩٩٢م

(٨٤) بنت الشاطىء: الاستاذة عائشة عبد الرحمن، اديبة مصرية.. لها مؤلفات كثيرة.. (المنجد ص١٣٧).

العالم - فيها، ماهو الا حملة شرسة بالحديد والنار لطمس الوجود الاسلامي في شبه جزيرة البلقان كلها...

والهدف من المجازر الجماعية والابادة للمسلمين هو ضرب الاسلام حتى لاتقوم له قائمة في أوروبا، بوصفه - كما يزعمون ويروجون - الخطر الاكبر الذي يهدد الحضارة الغربية...(٨٥)

مأساة عروس البلقان «سراجيفو»

سراجيفو عاصمة البوسنة محاصرة منذ اندلاع الحرب الاهلية في يوغسلافيا وتخوض معركة البقاء ربما يصح ان يقارن حصار سراجيفو الحالي بحصار ستالينغراد التاريخي امام جحافل النازيين، فمنذ شوال ١٤١٢هـ نيسان عام ١٩٩٢ م تقاوم سراجيفو حصارا شرسا، وقد أعادها ذلك - وهي المدينة الاوروبية- الى حالة مدن العصور الوسطى مفتقرة الى ادنى شروط العيش الذي يليق بالانسان ليقوى على الاستمرار، كما تفتقر الى السلاح الذي تحتاجه كي تحمي نفسها وتدافع عن أرضها، يحدث ذلك في مدينة انطلقت منها شرارة الحرب العالمية الاولى. ودفع العالم بأسره ثمن تهوّر الساسة الذين قادوا العالم ودفعوه نحو الهاوية.

واليوم، وبعد مرور ثمانين عاما، يعيد التاريخ نفسه بصورة اخرى منتجا نمطا من القادة العنصريين.. الذين لايأبهون للتدمير ولا للدماء البشرية، من اجل نزعة السلطة والنقاء العرقي المزعوم.

سراجيفو مدينة التآخي

يمكن القول بعد النظر الى مدينة سراجيفو عاصمة البوسنة والهرسك على انها صورة مصغّرة عن يوغسلافيا السابقة، فخلال سنوات تاريخها

---

(٨٥) انظر: مأساة المسلمين في البوسنة والهرسك (ص١٠٥-١٠٦).

اثبتت قدرتها على تعايش القوميات والاديان والشعوب التي تكوّنت منها، وعاشت فيها.. ففي اراضيها اقام الصربيون والكروات والمسلمون واليهود واقليات اخرى لسنوات طويلة، وتجاوروا عبر التاريخ الطويل المشترك متكاتفين امام كوارث الطبيعة من اوبئة وزلازل وسيول وحرائق وامام الاحتلالات الخارجية التي تعرضوا لها. وكان يمكن ان يستمر هذا التعايش الانساني الذي يعبّر عن تحضّر ورقيّ حقيقيين لولا نوازع الصرب وأطماعهم التي خرجت من سجنها الطويل وبدأت تخطط لتحقيق مآربها منذ وفاة زعيم البلاد «تيتو» وتبلوَر منذ ذلك الحين التيار الصربي المتسلط، الذي يطمح الى تحقيق صربيا الكبرى بواسطة التطهير العرقي وذلك من اجل شعب صربي نظيف لايشوبه اختلاط بشعوب وقوميات اخرى، ويقابل هذا التيار الشوفيني، التيار الآخر الذي يرفض هذا التعصب ويؤمن بالتعددية والانفتاح ويقبل تعايش جميع القوميات والأديان في اطار مالها من حقوق وما عليها من واجبات وهو في ذلك ينطلق من أرضية الواقع الحالي والذي تأسس منذ اكثر من اربعمائة سنة مع دخول العثمانين الى هذه البلاد[٨٦].

وكان العثمانيون قد بلغوا هذه المناطق في فتوحاتهم الشمالية وسيطروا عليها حتى دانت لهم دول البلقان بأسرها وخلال ذلك كان الاسلام ينتشر بصورة طوعية بين السكان والدليل على ذلك بقاءشعوب كثيرة على دينها المسيحي كبلغاريا والمجر ورومانيا وصربيا. في حين تميزت مناطق اخرى باعتناق الغالبية لهذا الدين وتبنّيه كألبانيا والبوسنة.

.. فأطراف النزاع جميعا يعودون الى عنصر وأصل عرقي واحد هو العنصر السلافي بالتحديد،.. وهم ينطقون بلغة واحدة هي اللغة الصربو كرواتية، مما يؤكد الأساس القومي الذي تقوم عليه هذه الشعوب.. لذا فالتطهير العرقي الذي يدّعيه الصرب الآن هو تطهير ديني - قومي، لان سكان

(٨٦) انظر: مجلة الجيل /نيسان/ ابريل ١٩٩٣ م، (ص ٤ - ٦).

البوسنة والهرسك الذين دخلوا في الاسلام اصبح انتماؤهم الديني بمثابة القومية التي تميّزهم وتعرف بهم وهم الأكثرية في جمهورية البوسنة والهرسك مما كدّر الصرب فيها.. لذلك قامت الصحافة الصربية منذ سنوات بتصوير الخطر، الكامن عند المسلمين فأشاعوا الخوف والذعر تمهيدا لتنفيذ مخططهم العنصري الصليبي، واتهموا المسلمين بأنهم ينوون اقامة جمهورية اسلامية، وذلك من باب لفت الانظار والتحذير من الخطر الاسلامي القادم!

سراجيفو الجميلة المحاطة بالجبال والتلال الخضراء والتي لاتماثلها مدينة اوروبية اخرى، أسسها: «عيسى بك اسحاقوفيتش» في اوائل العهد العثماني في البوسنة،.. وأخذت تتسع وتزداد اهمية وجمالا عبر السنين.. الاحياء فيها ذات طابع شرقي تشبه الى حد كبير الاحياء القديمة في بلاد الشام.. وكان يبنى في كل حي جامع وقد بلغ عدد الاحياء اكثر من مائة قبل الاحتلال النمسوي للبلاد. مما اكسب المدينة جمالا وخضرة، ان كل بيت كانت تحيط به الحدائق والاشجار حتى ان سفير البندقية الذي مر في سراجيفو عام «١٥٥٠م» اعجب بها وبجمالها وقال: « ان حدائق سراجيفو لاتختلف جمالاعن حدائق بادوفا[٨٧] وفي القرن السابع عشر اصبحت مدينة واسعة وغنية فيها اكثر من مائة جامع ومرافق عامة واسواق مسقوفة وحمامات وخانات وتكايا، كما بدأت تلعب دورا مهما في التجارة الدائرة بين الشرق والغرب مستفيدة بذلك من موقعها الهام.. وما تميزت به «سراجيفو» القديمة، انشاء مؤسسة الاوقاف الاسلامية، التي تنفق على بناء الجوامع والمرافق العامة كبيوت الضيافة لعابري السبيل والمطاعم للفقراء وانشاء السبلان العامة كصدقة جارية...[٨٨]

---

(٨٧) بادوفا BADOVA مدينة ايطالية غربي البندقية «٢٠٠,٠٠٠»نسمة (المنجد ص ١٠١) مشهورة بحدائقها الجميلة.

(٨٨) انظر: الجيل (ص ٦ - ٨) نيسان١٩٩٣م

.. وقد كتب الرحالة العثماني «اوليا جلبي» الذي زار سراجيفو عام ١٠٦٩هـ «١٦٥٩م» ان عدد السبلان العامة تجاوز «مائة وعشرة» سبيل. ولم يبق منها الآن الا «عشرين سبيلا».. ومعالم سراجيفو القديمة كثيرة.. ومكتبة خسروبك العظيمة، والتي لاتعادلها مكتبة في غنى محتوياتها، فهي تضم اغنى المخطوطات الشرقية في اوروبا وتقدر بخمسة عشر الف مخطوطة في اللغات العربية والتركية والفارسية، اضافة الى الكتب والوثائق ذات الاهمية الفائقة.. وقد تعرضت للتدمير المتعمّد في هذه الحرب في محاولة لطمس واجتثاث ماتمثله من تاريخ للمنطقة.

هذه ملامح مدينة «سراجيفو» طوال فترة الحكم العثماني التي استمرت اربعمائة سنة. وقد لعب أبناء المدينة من السلاف ومن الذين أسلموا دوراً هاماً في نهوضها لاسيما من شغل منهم مناصب عالية في الجيش والادارة في الامبراطورية العثمانية،

..ثم احتلتها الامبراطورية النمساوية الهنغارية، واستمر الاحتلال النمسوي اربعين عاما، حاول خلالها فرنجة المدينة التي كانت شرقية السمات حتى ذلك الحين.. وعندما تحقق تحرير البوسنة« ١٩١٨م» كانت مدينة سراجيفو قد اكتسبت وشماً جديداً، واصبحت تتميز بالطرافة والتنوع.. فهي الآن وريثة امبراطوريتين كبيرتين وحضارتين متباينتين. عاشت تاريخهما معا بما فيهما من عادات واساليب عيش وقوانين، واكتسبت من التمدن الشرقي والغربي في آن معاً، حتى غدت رمزا للأصالة العريقة في تاريخها، ومنبعا للتجدد والخصوبة في عصريتها.

هكذا كانت مدينة سراجيفو. المدينة التي ذكرتها الوثائق التركية بأنها «دار الجهاد والزهرة بين المدن» واكملت هذا الوصف الوثائق الصادرة عن الكنيسة الارثوذكسية التي عمّدتها بأنها «مدينة سراجيفو المحروسة» وتتويجا لهذا التوافق في تقييم المدينة من قبل رموز الدينيْن الرئيسيين فيها، فان التراث الروحي الذي خلفته هذه البيئة ينبثق عن اساس بشري

واحد. تتجلى في اكثر من حكاية. ومنها قصة الوالي «فرحات باشا فوكوفيتش»، وهو من ابناء البوسنة الذين أسلموا وأخلصوا في اهتمامهم بدينهم. بينما بقي اخوته الثلاثة على ديانتهم الأرثوذكسية.(٨٩)

..هكذا كانت توأمة الدينيْن امرا واقعيا عبّر ت عن نفسها في معايشة عقلانية ضمن اطار الوطن الواحد. وهناك حوادث اخرى معبرة يمكن ان تذكر في هذا السياق.

فقد أودع الطالب الصربي «تريفكو غرافيز الذي شارك في قتل ولي عهد النمسا في زنزانة قبل اعدامه، كانت هي الزنزانة نفسها التي اقام فيها المسلم «الحاج لويو» - قائد حركة المقاومة ضد الاحتلال النمساوي - وعانى فيها الاذلال والتعذيب من اجل حرية بلاده.

اما النساء اللائي اشتركن في المقاومة ضد هذا الاحتلال وصعدن الى مآذن المساجد فقد تم القاؤهن من فوق هذا المآذن الى الارض عقابا لهن على مشاركتهن في القتال. وكثيرة هي المعطيات التي تكشف عن طبيعة شعب البوسنة المسلم..

الذي اختار اجداده الاوائل الدين الاسلامي، وورث الابناء هذا الاختيار الذي اكسبهم سمات شخصية مسالمة، تميل الى الهدوء والتأمل وتؤمن بالتعايش والوطن الواحد في البوسنة. ويذكر هنا انه في الاحصاء السكاني الاخير ١٩٨٠، والذي تركت فيه حرية اختيار الانتماء وفق رغبات السكان ومشاعرهم فان عددا كبيرا من مثقفي البوسنة المسلمين سجلوا انفسهم في خانة «اليوغسلاف» بمعنى انهم مواطنين يوغسلاف اولا واخيرا، دون النظر الى الانتماءات الاخرى. وذلك تعبير عن المواطنة التي تهدف الى وطن يحضن الجميع. ولكن هذه النوايا الطيبة لم تكن حصنا كافيا، أمام الارث

---

(٨٩) انظر: الجيل (ص ١٠ - ١٢) نيسان ١٩٩٣م.

المتراكم من الحقد الصربي ازاء الدين الجديد الذي وفد الى المنطقة. فعبر التاريخ المشترك كان الصربيون بتركيبتهم العنصرية يحملون هذا العداء الخفي نحو أبناء وطنهم من المسلمين. وكانوا يعبرون عن هذا العداء بصور عديدة وقد سجل التاريخ خلال فترة يوغسلافيا الملكية «١٩١٨ ـ ١٩٤١» حوادث كثيرة كانت تفضح نواياهم التطهيرية وتكشف كراهيتهم. وتمثّلَ ذلك في التهجير بالقوة او التنصير بالاكراه، والقتل الجماعي والتعذيب..[٩٠] واليوم في زمن الانهيارات والفوضى يعود الصربيون ليقتنصوا فرصتهم للتخلص من المسلمين، والاستيلاء على اراضيهم لصالح مشروعهم الصربي.

والخطر الكبير الآن، يتمثل في انتقال العدوى في التطهير الى الدول المجاورة ليوغسلافيا، لاسيما وان أوروبا بأسرها تحفل دولها «بموازييك حقيقي» من الشعوب والقوميات والاديان والاقليات..[٩١]

(٩٠) لمعرفة ماعاناه المسلمون في يوغسلافيا في مختلف المراحل منذ الاحتلال النمسوي الى الوقت الحاضر انظر: الفصل الثالث.

(٩١) انظر: الجيل (ص ١٢ ـ ١٣) نيسان ١٩٩٣م

مهرجان البوسنة والهرسك في باريس

سراجيفو المنسية

عقد في باريس اواخر عام «١٩٩٢م» اجتماع حضره عدد كبير من العلماء والمثقفين الذين جمعتهم فكرة واحدة وهي انه يجب انقاذ البوسنة والهرسك وسراجيفو، ولو كان ذلك يتطلب استخدام القوة.

حضر هذا الاجتماع اكثر من «خمسة الاف » شخص وتكلم في افتتاحه الفيلسوف الفرنسي « برنارد انري لوي» الذي لم يستطع ان يخفي انفعاله بهذا الحضور العظيم وبعد ان اثنى عليهم قال انه يريد ان يخبرهم عن ثلاثة امور يسيرة:

الأمر الأول: «يكررون دائما ان سراجيفو قضية معقدة في البلقان وهي شيء أسود ومظلم وغامض».

هذا ليس صحيحاً، وأن مايحدث الآن في سراجيفو، والبوسنة يسير جداً، من جهة هناك الاعتداء والمعتدى مع الاطماع التوسعية ومع السياسة القومية العنصرية التي يقودها الشيوعيون السابقون الذين تحولوا الى القومية العنصرية.. هناك مدينة يحاول المعتدي اخضاعها والسيطرة عليها، المدينة التي تقصف باستمرار، المدينة المدمّرة والمخرّبة، المدينة المجوّعة والمذلولة، وهناك نساء.. واطفال في زرائب، والجثث في كل مكان، هذه الاوضاع ليست غير واضحة؛ بل انها واضحة للغاية، ولكنها للاسف مثيرة

جداً ايضا.

الامر الثاني: .. هو ان «سراجيفو» ليست في أطراف أوروبا كما يحاول الديبلوماسيون الفرنسيون ان يقدموها لنا.

ان سراجيفو قريبة، ليست جغرافيا فحسب، وانما قريبة من قلوبنا وقيَمِنا، ولايمكن العيش في أوروبا.. ونسكت عما يحدث هناك دون ان نتحرك. ان مجانين التنقية العرقية.. الذين يريدون العالم ان يكون مقسماً الى كانتونات.. وهناك سراجيفو المدينة الكبيرة جدا - بكرمها وتسامحها - والمدينة الجميلة جداً وهناك حضارة عظيمة جداً. انهاالمدينة التي عاش فيها معا واكثر من خمسمائة سنة، أصحاب الاديان المختلفة في سلم وانسجام، انهم يقولون لنا: ان سراجيفو مدينة مسلمة وان الجيش البوسنوي هو قوات اسلامية وهذا ايضا ليس صحيحا اذ أن الجيش البوسنوي يضم في صفوفه الكاثوليك والارثوذوكس والمسلمين.

والامر الثالث:.. هو أنه قد يكون كل ذلك يسيرا كما قلنا، ولكننا لانستطيع عمل شيء إزاءه، إنني أرى ذلك خطأ أيضا.

إنني ذهبت إلى هناك ،وكل من ذهب قد رأى بنفسه بطاريات المدافع الصربية التي تحيط بالمدينة وتمسكها كرهينة، هناك تقريبا مابين مائتين إلى ثلاثمائة بطارية والتي يمكن أن نسكتها خلال أيام معدودة، وحتى خلال ساعات.

كثير من الديبلوماسيين يقولون إننا لانستطيع عمل شيء، إن هؤلاء الذين يرون في قضيةالبلقان قضية معقدة وغير قابلة للحل، إنهم يعتقدون أن بضع مئات الآلاف من الناس لايعنون شيئا للتاريخ ولا للانسانية الذين سيقتلهم (الصرب).. كما ان رئيس حماة البيئة أظهر حبّه تجاه سراجيفو وأهلها، وموافقته على كلام انري لوي ومما قاله أيضا: «إنني أريد هنا أن أدين مايحدث في البوسنة والسياسة الفظيعة التي يسمونها التنقية العرقية[٩٢].».

مدن اسلامية:

موستار MOSTAR

تقع موستار في جمهورية البوسنة والهرسك، جنوبي مدينة سراجيفو، وهي عاصمة منطقة الهرسك، والمسافة بينها وبين سراجيفو «١٣٠ كم» والمسافة بين موستار والبحر الادرياتيكي - الواقع جنوبها - «٥٦ كم»، اشتهرت موستار بجسرها العظيم البالغ ارتفاعه «٤٥٠ قدما» وسمك جداره «٢٤ قدما» تم بناؤه عام ١٥٦٦م[٩٣] بلغ عدد سكانها ١٤١٢هـ - ١٩٩١م (١٢٦/٠٦٧) نسمة، نسبة مسلميها «٣٥٪» والكروات «٣٤٪» والصرب «١٩٪»، واليوغسلاف «١٢٪»، وتعرضت موستار كغيرها من المدن الاسلامية في جمهورية البوسنة والهرسك - الى تخريب كبير في معالمها[٩٤] عام ١٤١٣ - ١٤١٤هـ «١٩٩٢ - ١٩٩٣م»..

موستار هي مدينة الشمس والرسامين والشعراء، وموستار ذات هندسة معمارية خاصة، والتي تحت ضوء سماء الهرسك تتألق ببياض أحجارها...

---

(٩٢) انظر سراى بوسنة العدد ٤ (ص١٥) عن اذاعة باريس ١٩٩٣/١/٢م

(٩٣) انظر: البوسنة والهرسك (ص٥٣).

(٩٤) سيتم التكلم عن مجريات الامور في جمهورية البوسنة والهرسك بالتفصيل منذ الاعتداء الصربي على مدن ومسلمي الجمهورية ، وذلك في الفصل السادس والأخير.

ومع ضوء هذه المدينة يدخل الى أعماق الانسان، حبّ الحياة ... والبهجة والسرور(٩٥)

قال أحد زوّار موستار - في القرن الماضي: «ان موستار كمدينة، تركت فينا انطباعا أطيب من اية مدينة بوسنية أخرى. ان البيوت لم تبن من خشب وطين، بل بنيت من الحجر، رأينا في موستار البروج - المآذن - وفوق قبور الاولياء المسلمين، قباب عالية.. يزين المدينة «اربعون جامعا» .. وتبدو المآذن ، كأنها أعمدة باسقة.. وقد فاجأتنا برشاقتها أكثر من مآذن سراجيفو.. ان شوارع موستار.. تترك فينا انطباعا بأننا بلغنا حدود الحضارة الرومانية..

لقد اشتهرت موستار بأنها سوق النحاسين، مركز التجارة والصناعات اليدوية في الماضي. وقد احتفظ - هذا السوق - بصورته ووظيفته الاصلية حتى اليوم.

ان ألوان هذا الحي، تشبه طابع البحر الابيض المتوسط، والطابع الشرقي مع الجسر القديم وهي تمثل قيمة خاصة للمدينة على «نهرنيريتفا»(٩٦)

(ان مدينة موستار قد اشتهر منها عدد من الاعلام الذين وصلوا الى مرتبة عالية ايام الحكم العثماني، وكذلك اشتهر عدد آخر من علمائها وادبائها ، ومن اعلام موستار المشهورين: «صالح باشا الموستاري»، الذي كان نائب الشام، وقد ذكر ترجمته «المحبّي» في كتابه ، فقال : ان صالح باشا، كان أميرا، ثم ضابطا بقسطنطينية - استنبول - وانه كان يحب العلماء ، ويجالس الصلحاء، وكان واليا برتبة «بك» سنة « ١٠٥٤ هـ ١٦٦٤ م»، (كما جاء في

---

(٩٥) انظر: البوسنة والهرسك (ص٥٢).

(٩٦) انظر: المصدر السابق (ص١٠٥) من كتاب مشية عبر البوسنة والهرسك آرثرفانس ١٢٩٢هـ «١٨٧٥م» و (ص٢٠٥).

فقرة «ولاة البوسنة» الفصل الرابع ـ لقد توفي صالح باشا الموستاري سنة «١٠٧٦ هـ ـ ١٦٦٥ م[٩٧].»).

سكوبيا SKOPJA

واسمها بالتركية «اسكوب، وهي مدينة قديمة على ضفتي نهر «فاردار» بارتفاع نحو «مائتين وخمسين مترا» عن سطح البحر، في واد خصيب ، تحيط بها جبال مغطاة بالثلوج، وهي عاصمة «جمهورية مقدونيا» أحدى جمهوريات يوغسلافيا الاتحادية ـ سابقا ـ منذ عام «١٩٤٥ م».

عرفت المدينة منذ العهد الروماني في أنها مركز للنشاط الاقتصادي، بفضل موقعها الجغرافي، وكانت مستعمرة ايليرية باسم «سكوبي».. اصيبت بزلزال شديد سنة «٥١٨ م» دمرها تدميرا تاما، فأعيد بناؤها بعد سنوات، على عهد «يوستنيانوس» «٥٢٧ ـ ٥٦٥ م»، وسميت «يوستيانا بريما» ، ولكن سرعان مااستعادت اسمها.. استولى عليها الصقالبة في اواخر القرن السابع، إلا ان بيزنطة استعادت سيطرتها عليها حتى القرن الثالث عشر ـ الا فترات قليلة ، كان يحتلها أثناء ذلك البلغار والصرب.

وقد استقرت نهائيا في يد الصرب سنة ٦٨١هـ «١٢٨٢م» فجعلوها عاصمة لدولتهم، وفيها توج «اسطفانوس التاسع» أو «روش الرابع دوشان» ، ٧٣١ ـ ٧٥٦هـ «١٣٣١ ـ ١٣٥٥ م» امبراطورا على الصرب واليونان والبلغار والالبان.. وتعتبر هذه الحقبة، من أزهى الحقب في تاريخ المدينة.

وكان الاتراك العثمانيون ، قد باشروا زحفهم على أوروبا، وبدؤوا مباشرة بالبلقان.. وتم فتح «اسكوب» في اول عهد السلطان «بايزيد الأول سنة ٧٩٢ ـ ٨٠٤/ ٨٠٥هـ ١٣٩٠ ـ ١٤٠٢» الملقب «يلدرم» ـ اي الصاعقة ـ[٩٨].

---

(٩٧) انظر: خلاصة الأثر للمحبي (ج٢ ص٢٤٢ ـ ٢٤٣).

ولم يلبث العثمانيون أن جعلوها عاصمتهم الثانية بعد «أدرنة»، وقاعدتهم العسكرية لمتابعة فتوحاتهم في اوربا، فعظُم شأنها، وازدهرت تجارتها، ونشطت فيها حركة البناء، فكثرت الصروح الضخمة، كالمساجد، والقصور، والمدارس، والأضرحة، والحمامات. وأهم مساجدها، «جامع السلطان مراد ١٤٣٦ م»، ٨٣٩ - ٨٤٠هـ وجامع «اسحاق بك ٨٥٢هـ ١٤٤٨ م». وجامع «عيسى بك ٨٨٠هـ ١٤٧٥ م» و جامع «خوجه مصطفى ٨٩٠هـ ١٤٨٥ م» وأخيرا «جامع يحيى باشا ٩٠٨هـ ١٥٠٢ م».

أما مدارسها، فقد احدثت حركة ثقافية، شهرتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر، بمن نبغ فيها من الشعراء. والمؤرخين والعلماء.. وقد ورد أسماء بعض مشاهيرهم في دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الأولى - امثال : اسحق جلبي، المعروف «بالاسكوبي»، بير محمد عاشق جلبي»، «اويس بن محمد» المعروف بـ «ويسي»، و«عطائي نوعي زاده الاسكوبي»، وفيهم الشاعر والفقيه، والقاضي والكاتب.

.. احتل الالمان سكوبيا، في ربيع الأول ١٣٦٠هـ نيسان «١٩٤١ م»، وجعلوها قاعدة عسكرية، أصيبت بزلزال عام ١٣٨٣هـ «١٩٦٣ م» قضى على اكثر من الفي نسمة، وتشتت القسم الاكبر من الباقي، وتخرب الحي الشرقي بكامله، وفيه أكثر الأبنية الاسلامية الاثرية، من مساجد، وأسواق ومنشآت، كما تضررت أحياء أخرى، ولكن الحكومة، أسرعت باعادة البناء، وعادت سكوبيا مدينة مزدهرة في صناعتها وتجارتها، وزاد عدد سكانها زيادة عجيبة، فبعد أن كانوا في احصاء عام ١٣٨١هـ «١٩٦١ م»: (١٦١/٩٨٣) نسمة، أصبحوا بعد عشر سنوات، - أي في عام ١٣٩١هـ «١٩٧١ م» وعلى الرغم من كارثة الزلزال - (٣٨٨/٩٦٢) نسمة[٩٩].

---

(٩٨) انظر: دائرة المعارف/ فؤاد افرام البستاني (م ١٣، ص ٢١٧ - ٢١٨).

(٩٩) انظر: المصدر السابق نفسه.

كانت سكوبيا في القرن السابع عشر من أكبر المدن في البلقان . ففي ذلك الوقت كان فيها : «٢١٥٠ دكانا»، و «خمس وأربعون جامعا» و «خمس وسبعون مسجدا» و «عشرون تكية»، و«سبعون مدرسة ابتدائية»، و« خمس مدارس عليا»، و «تسع» مدارس خاصة لقراءة وتجويد القرآن، و «سبعة» فنادق مجانية - لايدفع فيها - العابر شيئا، وأكثر من «الف حمام» عبر البيوت الخاصة، بالاضافة لعدة حمامات عامة[١٠٠]

... وفي زيارة قام بها وفد سوري حكومي الى مدينة «سكوبيا[١٠١]. تجول الوفد السوري في المدينة، ومن مكان مرتفع - حيث تشاهد المدينة بمنظرها العام - قال عضو الوفد السيد منيب الطحان: رأينا مسجداً أثرياً، وبالقرب منه سوق أثرية أيضا، أرضها من الحجارة الكبيرة الملساء ، وفي هذه السوق، محلات لبيع المصنوعات اليدوية، التقليدية،والتحف، وايضا، محلات لبيع الأقمشة والمنسوجات المختلفة. ويقول السيد منيب الطحّان: «واجمل شيء هو: الترحيب الذي كان الوفد يلقاه في كل مكان يزوره - وربما كان السبب هو أن أكثر أصحاب المحلات كانوا من المسلمين - وعندما كانوا يسمعون أحد أعضاء الوفد يتكلم باللغة العربية، يشعرون بالرابطة الروحية، وبالحنين الى لغة القرآن، - هذا ماصرح به أحد المقدونيين - وبعض هؤلاء كان يسرّ لنا بأنه «مسلم» وانه يحبّنا لاننا من بلاد الاسلام ، حتى أن المترجمة التي كانت تسير معنا - لم تخفِ شعورها تجاهنا، فقالت ان اسمها «جوليانا» ولكن المسلمين ، ينادونها «ليلى»، ومما يحزّ في النفس ان المسجد الكبير الفخم في سكوبيا، لايفتح أبوابه الا امام السياح، وقال احد المواطنين في سكوبيا: انه يفتح لصلاة الجمعة والعيدين[١٠٢]».

---

(١٠٠) انظر: الثقافة الالبانية في الابجدية العربية (ص ٩٤ - ٩٥)

(١٠١) تمت الزيارة المذكورة في السابع من محرم سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة والف للهجرة «الثامن من شهر كانون الاول سنة ثمان وسبعين وثمانمائة والف للميلاد».

.... وفي زيارة في عام ١٤١٢هـ «١٩٩١ م» قام بها احد الصحافيين العرب[١٠٣] لمدينة سكوبيا، يصف لنا ماشاهده في عاصمة مقدونيا، ومما قاله: بدت العمارة الاسلامية واضحة، المركز التجاري في قلب المدينة. كانت المآذن شامخة، تطاول عنان السماء، والاضواء الملونة تلفّها ، تعبيرا عن البهجة الرمضانية في شهر الصيام... حرصتُ على زيارة المسجد الكبير الذي كان أول ماتصافحه عيناي - من غرفتي بالفندق، وآخر ماتصافحه قبل أن اخلد الى النوم. ذهبت الى «حي البازار» ووجدت عددا فخما من المحلات تقترب في الشبه من المحلات القديمة في «خان الخليلي» بالقاهرة.. واقتربت من المسجد - بعد أن انتهى وقت الافطار، وجدت المسجد يحتشد بالمصلين، وشاب صغير في الثامنة عشرة من عمره يجوّد القرآن الكريم على طريقة تجويد الشيخ «عبد الباسط عبد الصمد»، والحاضرون يحسنون الاستماع، وإمام المسجد «الشيخ سلام» كان يشرح لهم معاني التلاوة الكريمة.. وجدت محلات صغيرة - بجوار المكتبة الكبيرة - تبيع الكتب والمجلات، التي تهتم بتعاليم الديانة الاسلامية، (وغيرها) والتي تصدر عن المشيخة الاسلامية حيث تنعكس طبيعة الدولة العلمانية على علاقاتها بالاديان،...

... تُعدّ مدينة «سكوبيا» العاصمة الادارية والثقافية لمقدونيا، ويخترقها نهر فاراد، وتتميز بملامح بلقانية، الى جانب مظاهر العمارة الاسلامية، وخصوصا في حي البازار القديم، ثم تطل العمارة الحديثة التي قامت في المدينة، بعد زلزال «١٩٦٣ م» حيث أعيد بناؤها من جديد ليصبح لها شخصية حديثة مختلفة عما أعيد ترميمه والمحافظة عليه من معالمها القديمة، التي لم يتمكن الزلزال المدمر منها.

وتبدأ الحياة الثقافية في سكوبيا من الجامعة، حيث تنبع من الاسهام

---

(١٠٢) من مذكرات الاخ «منيب الطحان» - عضو الوفد السوري - في زيارة سكوبيا
(١٠٣) مندوب مجلة الجيل «محمد سعيد»

العلمي لجامعة سكوبيا، التي تستوعب «خمسة وعشرين الف» طالب وطالبة... وفي سكوبيا معهدان لدراسة الموسيقى ، ومعهد عال للفنون الجميلة والتطبيقية، وأخر لفنون المسرح والسينما والاذاعة والتلفزيون... وفي سكوبيا عدد من المتاحف، ويقترب عدد سكان سكوبيا من «نصف مليون نسمة»(١٠٤).

... ولابد لنا من أن نذكر هنا، أحد الاعلام الذين اشتهروا في الماضي من سكوبيا، ألا وهو : «بير محمد»، مفتي سكوبيا. والمعروف بمفتي سكوبيا، كان أبوه مملوكا.. ومن الدارويش ، ثم طلب العلم وبرع فيه، ويذكر «المحبّي» في كتابه، «خلاصة الأثر»، أن بير محمد، صار مفتيا... بسكوبيا، وان هذا المفتي اشتهر كثيرا وكان فقيها مطلعا.. «جمع ماوقع في زمانه من المسائل التي أفتى بها....» كما رتّبها على أبواب الفقه ، وقد عرفت «بـ فتاوى الاسكوبي» وكانت وفاته سنة «١٠٢٠هـ١٦١١م».(١٠٥)

بنالوقة (بانيالوكا) BANJE LUKE

«بنالوقة» وتكتب ايضا «بنجه لوقة» ، وترسم بالتركية القديمة «بانه لوقه» وتلفظ ـ الآن ـ بانيالوكا ـ ورسمت «بنا لوقه» وهي : مدينة في البوسنة ، على نهر «فرباس» أحد فروع نهر «سافا SAVA»، وفي منطقة تحيط بها المناظر الجبلية الآخاذة، وترتفع «بنالوقة» عن سطح البحر بمقدار «خمسمائة قدم».

أصبحت بنالوقة قصبة ولاية «فرباس» ، عندما قُسّمت يوغسلافيا الى ولايات عام ١٣٤٨هـ «١٩٢٩ م»، وبلغ عدد سكانها عام ١٣٥٠هـ «١٩٣١م» ، «٢١/١٧٧» نسمة ثلثهم ـ تقريبا ـ من المسلمين ، وهؤلاء

---

(١٠٤) انظر: مجلة الجيل/ ايلول ١٩٩١م المجلد ١٢ ، العدد ٩ (ص٦١ ـ ٦٤)
(١٠٥) انظر: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر (ج٢ ص٤٥٦).

المسلمون، يتكلمون اللغة الصربو كرواتية، ولديهم «سبعة وعشرون مسجدا، ومدرسة منها ثلاث مدارس قديمة، ومفتٍ، وقاضٍ يحكم بما أمرت به الشريعة، ومجلس للوقف، وموقع «بنالوقة»، فريد وهام من الناحية الاقتصادية، لوجودها على الخط الحديدي، منذ عام ١٢٩٣هـ «١٨٧٦ م» ثم انها مركز الثقافة في تلك الناحية[١٠٦].

تنقسم «بنالوقه» الى قسمين (مدينتين): العليا، «كرنجي شهر» وصبغتها شرقية، والسفلى «ونجي شهر»، وصبغتها اوربية، مازالت تشاهد في المدينة العليا، بقايا حمامات رومانية، ولم تكن بنالوقة - أيام ملوك البوسنة - سوى قلعة صغيرة، ذاع صيتها، بعد فتح العثمانيين لجنوبي البوسنة عام ٨٦٧هـ «١٤٦٣ م»، اذ اصبحت جزءا من ولاية «يايتسي JAJCE»... التي انشئت في ذلك الوقت، وينتسب اليها المؤرخ الشهير «عالي» - كاتب «فرهاد باشا صوقللي» الذي عين «سنجق بك» للبوسنة عام ٩٨٢هـ «١٥٧٤ م» وايضا، الشاعر «تركسي المولود في سراجيفو» وكان قاضيا. استولى العثمانيون على بنالوقة عام ٩٣٤هـ «١٥٢٨ م» بعد سقوط «يايتسي» وأخذت في الازدهار منذ ذلك الوقت، وكانت مقر الوالي العثماني على البوسنة منذ عام ٩٧٠/ ٩٧١هـ «١٥٦٣ م»، ولكن الرأي الغالب، أن فرهاد باشا، هو اول من نقل مقر الوالي من «شرفنك» الى «بانه لوقة» عام ٩٩٦هـ «١٥٨٨ م»، وظل الولاة يقيمون فيها حتى عام ١٠٤٦هـ «١٦٣٩ م»، وكان «فرهاد باشا» ابن عم الصدر الاعظم «محمد باشا سوكولوفيتش» (صوقللي)، واليه يرجع الفضل الاعظم في تقدم المدينة، وكذلك بني اول مسجد في المدينة وهو مسجد «فرهادية جامعي»، (جامع فرهاد). أو (جامع فرحات) الذي دمّره الصرب مع ثلاثة مساجد أخرى في يوم واحد[١٠٧]

---

(١٠٦) انظر: دائرة المعارف الاسلامية (ص١٨٩ - ١٩١، م٤)

(١٠٧) انظر في الملاحق: قائمة المساجد التي دمّرها الصرب.

ويقول الرحالة «أوليا جلبي»: انه شيّد عدة مبانٍ عامة، منها سوق مائة حانوت وحمام ومدرسة، ومكتب، وغير ذلك، وقال أوليا : «ان اسم المدينة مشتق من كلمتين صربيتين كرواتيتين هما : «بانه» ومعناها «حمام» و «لوقة» ومعناها «مرعى» ان هذه المدينة اصبحت منذ عام «١٨٥١ م» احدى سناجق البوسنة الستة، وفي عام ١٢٦٥هـ «١٨٧٨ م» احتلها النمساويون، وظلت تحت حكمهم حتى عام ١٢٣٦هـ «١٩١٨ م»، حيث ضمت الى يوغسلافيا[١٠٨].

ويقول الرحّالة «أولياجلبي»:

تتكون «بنالوقة» من قلعتين ، وتسمى في سجلات «سراجيفو»، «بانيالوكاتين» ولقد فتحها «غازي فرحات باشا»، شيدت كلتا المدينتين ، من مواد البناء القوية على الجانب الايسر على طول نهر «فرباس» وفيهما مخازن اسلحة جيدة.

وأمام مدينة «فرحات باشا» الجديدة يوجد مدفع قديم لقذف المقذوفات الثقيلة، طوله «ثلاثون مترا»... والمدينة في الخارج... وعلى اطراف الجنائن ، يوجد منبع مياه حارة، فقد سمي بـ «بانيا» ، وربما أنه خارج هذه المدينة في ذلك الوقت، كانت توجد على أطرافها مدينة اخرى سميت «لوكا» ، ولقد اندمجت في حديث الناس الواحدة بالأخرى، فسميت المدينة «بانيالوكا[١٠٩]».

ان جميع المدن في البوسنة والهرسك، مرت بكوراث ، وكذلك هذه المدينة، «بانيا لوكا» .. احدث الكوارث التي مرت بهذه المدينة، حيث دمرها زلزال (عنيف) في سنة ١٣٨٩هـ «١٩٦٩ م» وبهذا التاريخ أيضا بنيت مدينة بانيا

---

(١٠٨) انظر: دائرة المعارف الاسلامية ، المصدر السابق نفسه

(١٠٩) انظر: البوسنة والهرسك (ص٣٩) ، اوليا جلبي: مدينة بانيا لوكا، مقتطف من سياحة نامة ١٠٧٠هـ «١٦٦٠ م».

لوكا، الجديدة، الأكثر جمالا[١١٠].

في آخر احصاء لمدن البوسنة في عام «١٩٩١ م»، بلغ عدد سكان «بانيا لوكا» «١٩٥/١٣٩». نسمة وكانت نسبة مسلميها «١٥٪»، والصرب «٥٤٪»، والكروات «١٥٪» ثم اليوغسلاف«١٦٪»[١١١]

في الحوادث الدامية التي تلف مدن جمهورية البوسنة والهرسك، والاعتداءات الصربية، وقعت مدينة بانيالوكا بقبضة الصربيين وجعلوها عاصمة لجمهورية خاصة بهم سموها «جمهورية البوسنة الصربية»، وهذا ماحدث خلال عام «١٩٩٢م»

كيسيلياك KISEIJAK

ان كيسيلياك التي كانت في الماضي، مفترق الطرق بين مقرين سابقين للوزراء، «ترافنيك» و «سراجيفو» ، كانت مصح المياه المعدنية والجو اللطيف ، منذ عهد الرومان تبعد عن «سراجيفو» مسافة «اثنين وثلاثين كيلومترا» نحو الغرب، وذكرها العثمانيون لأول مرة سنة ٩٣٦هـ «١٥٣٠ م» تحت اسم «اكشي صو» اي «الماء الحامض»،وكتّاب الرحلات، .. فقد ذكروا ، وفرة المياه الحامضة الجوفية القلوية ، ذات درجة الحرارة الثابتة، من «١٢ْ ـ ١٣ْ» درجة مئوية.. ان كيسيلياك اليوم، هي احدى مراكز السياحة والمعالجة بالمياه المعدنية، بمناظرها الخلابة والتي يجري عبرها «نهر ليبينيتسا» ـ الغني بالاسماك ـ تجتذب الناس من جميع النواحي ، ويسمونها لقربها من

---

(١١٠) انظر: المصدر نفسه (ص٦٥).

(١١١) لمعرفة نسبة الطوائف في كل مدينة في البوسنة والهرسك ، انظر مصور البوسنة والهرسك لعام «١٩٩١ م» والقائمة في آخر الفصل السادس.

سراجيفو «كيسيلياك سراجيفو» لتعوّد سكان العاصمة على زيارة هذا المتنزّه[١١٢]. تُعدّ حمامات كيسيلياك، المعدنية من بين المنتجعات المعدنية والمناخية المعروفة، وبخاصة مياهها المعدنية للشرب، ترتفع عن سطح البحر (٤٧٠ مترا).

عند ذهابك الى «كيسيلياك» تمر وسط طرقات سندسية خضراء، وترى بين الفينة والفينة، مآذن المساجد مرتفعة في كل قرية تمر بها هذه الطريق حيث كثرت المساجد الجديدة في هذه المنطقة، التي أنشئت بتبرع مسلميها، في قرية «كيسيلياك» وفي زيارة أحد المساجد الذي انشيء حديثا، تجد أن هذا المسجد يضم مدرسة لتعليم القرآن الكريم ومقصورة للنساء، وغرفة لغسل الموتى ، وحمامات ، واقساماً للوضوء، ومسكناً للإمام، ومكاناً للاغتسال ولوزام الوضوء، وفي زيارة أحد ابناء القرية وهو «عبد الله لوشيا»، ـ أكبر مساهم في بناء المسجد ـ في بيته الجميل ، الذي زينت جدرانه من الداخل بلوحات عن الحرمين الشريفين، وبآيات قرآنية، وقد أدى وزوجته «الحاجة أمينة» فريضة الحج الى بيت الله الحرام، كانت زوجته ملتزمة بالحجاب الشرعي، كما أن لها قريبات محجبات ايضا، ويعمل «الاخ عبد الله لوشيا» قصاباً في كيسيلياك[١١٣].

عدد سكان كيسيلياك احصاء «١٩٩١ م» «٢٤/٠٩١» نسمة «٤١٪» مسلمون، «٣٪» صرب، «٥٢٪» كروات، «٤٪» يوغسلاف[١١٤].

---

(١١٢) انظر: سراجيفو (ص٤٤ ـ ٤٥) وانظر أيضاً: يوغسلافيا الحمامات والمنتجعات المناخية.

(١١٣) انظر: المسلمون في يوغسلافيا (ص٢٢ ـ ٢٣).

(١١٤) انظر: مصور البوسنة والهرسك

فيسوكو VISOKO

مدينة اسلامية، تقع شمال غرب عاصمة البوسنة والهرسك، وتبعد عنها حوالي «خمسة وثلاثين» كيلومترا، يبلغ عدد سكانها «١٢٠/٤٥» الف نسمة، نسبة مسلميها «٧٥٪»، والصرب «١٦٪»، والكروات «٤٪»، واليوغسلاف «٥٪»[١١٥].

لمدينة «فيسوكو» ماض تاريخي مجيد، (يؤكد المؤرخون، أن أول اسم «للبوسنة» أطلق على فيسوكو وضواحيها). ورغم أنها تفتقر الى الآثار الحضارية القديمة، الا انها تعوّضها بمساجدها ، وقيمتها التاريخية والحضارية، لان كلا منها - من خلال طرازه واسمه - يعطي صورة مصغرة عن الوضع التاريخي، والثقافي، والاقتصادي، والروحي للعصر الذي شيد فيه؟

ان وجود المساجد، تعبر عن روح الاسلام والمسلمين في هذه البقاع ، وتصور الظروف التاريخية والحياتية، التي مرت بها البلاد البوسنية، في مدينة «فيسوكو» تسعة مساجد حيث بني أحدث مسجد فيها عام «١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م»، وهو «مسجد شرف الدين» (شارشيسكا)، وقد شيد هذا المسجد الضخم والحديث، في وسط الجزء القديم من المدينة في ضاحية «سبيلية» ، اي في ذات المكان للمبنى القديم، الذي انهدم قبل عشر سنوات ... فمسجد «شارشيسكا» يدل باسمه انه كائن في قلب المدينة، ومسجد «تاباشكا» مثلا، انه موجود في «تابخانه» - احدى ضواحي المدنية - ويذكرنا برواد صناعات الدباغة والجلدية المشهورة اليوم بالعالم - الرواد الذين بنوا هذا المسجد ، ومسجد «هادرفانسكا» ، ويعني : ميدان صغير ، اعتاد حجاج فيسوكو أن يتخذوه نقطة انطلاقهم في رحلتهم الى الأماكن المقدسة.

---

(١١٥) انظر: مصور البوسنة والهرسك.

وقد ترك كل جيل اسلامي في هذه البقاع - بطريقة بناء المساجد المذكورة - أثراً بارزاً من حاجاته الدينية والروحية.

يمثل مبنى مسجد «شرف الدين» الجديد، الذي تم بناؤه سنة «١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م» تحقيقا لمقاصد وطموح الاجيال المسلمة الجديدة، والتي ترى في عصرها امكانيات جديدة، وهو في نفس الوقت، تعبير عن التنمية الاجتماعية الكاملة والحياة الكريمة التي يعيشها مجتمع... متعدد القوميات، الحياة التي حققت فيها اجيال المسلمين مع الجيل الحاضر، تقدمهم الكامل والاتجاه القومي[١١٦].

يايتسي JAJCE

تقع «يايتسي» في جمهورية البوسنة والهرسك ، وتبعد عن العاصمة «سراجيفو» حوالي «مائة وستون كيلومترا» الى الشمال الغربي منها، بلغ عدد سكانها في عام «١٩٩١ م» ، «٤٤/٩٠٣» الف نسمة، ونسبة المسلمين «٣٩٪»، والصرب «١٩٪»، والكروات «٣٥٪»، و «٧٪» من اليوغسلاف[١١٧].

كانت «يايتسي» في الماضي افتخارا وعظمة ، لدولة البوسنة في القرون الوسطى، تقع على شواطيء نهري «بليفاوفرباس» و ان ماضي هذه المدينة، الغني والصاخب، يعطيها مكانا خاصا في التاريخ، ففي سنة ٨٦٧هـ «١٤٦٣ م» كانت نهاية آخر ملوكها (ستيفان توما شوفيتش) ، وفي ٢٤ ذو القعدة ١٣٦٢هـ و٢٣ نوفمبر (ت٢) سنة «١٩٤٣ م» أسست فيها «يوغسلافيا الجديدة» بزعامة «تيتو[١١٨]».

---

(١١٦) انظر:منشوراً صدر بمناسبة افتتاح المبنى الجديد لمسجد «شرف الدين» بدون تاريخ

(١١٧) انظر: مصور البوسنة والهرسك

(١١٨) انظر: البوسنة والهرسك (ص١٠٣ - ١٣٩)

ليست هناك مدينة في البوسنة، تضاهي بجمالها وبوسنويتها ، مدينة «يايتسي» ، اذ ان هذه المدينة ، اثر قديم اتكأ على تل يستريح، واسفل منه يجري نهران... الانسان أقام مدينة يايتسي، عاصمة البوسنة القديمة، وان يايتسي مدينة فريدة لايوجد مثلها،..كلها مبنية من الحجر ، وقد بقيت ـ الى اليوم ـ هذه الاسوار القديمة ، في المدينة القديمة الرمادية الخضراء، من زمن طويل...

ان بحيرات «بليفا» قرب مدينة «يايتسي»، تجري على صفحة مياهها، المسابقات العالمية بسباق زوارق «الكاياك» ، فاقيمت فيها بطولة أوربا ، وبطولة العالم على المياه الراكدة. أن «يايتسي» الغنية بالآثار الثقافية والمعالم التاريخية، ثم المواصلات العصرية، والامكانيات الملائمة للصيد، وصيد الاسماك، كل ذلك يعطي المنطقة كلها، جاذبية خاصة وإمكانيات مختلفة للراحة والاستجمام[١١٩].

فيشي غـراد VIŠEGRAD

تقع مدينة «فيشي غراد» على نهر «درينا»، على تل مرتفع.. انها مدينة بوسنية صغيرة، ذات شكل خماسي ، مشيدة بالحجر... فيها جامع جميل وخان كبير، كالقلعة ، ومستودع للذخائر، والخان يتسع لعشرة آلاف من الخيل والبغال والجمال، ثم فيه حمام جميل، وحنفيات... جارية، وفيه «ثلاثمائة» دكان كلها أوقاف «محمد باشا صوكولوفيتش»، وان الحي يقع تحت المدينة وفيه «سبعمائة» بيت وجامع..

في مدينة «فيشي غراد» جسر عظيم أقيم على نهر «درينا» ، ذو «احد عشر» قوسا، وكل قوس منها، يضاهي برج درب «التبان[١٢٠]».

---

(١١٩) انظر : البوسنة والهرسك (ص١٠٣ ـ ١٣٩)

(١٢٠) درب التبان: مجموعة من الاجرام السماوية متجمعة بكثافة، تظهر بوضوح أيام =

... يقف الانسان مندهشا ، وهو ينظر الى هذا الجسر التاريخي، وهو من عمل المعماري الشهير «سنان»، لقد بني هذا الجسر عام ٩٧٩هـ «١٥٧١ م »، بأمر الوزير الأكبر «محمد باشا صوكولوفيتش» الذي ولد في قرية صغيرة «صوكوللي» من قرى البوسنة قرب «فيشي غراد»، كوقف منه الى وطنه الام، وقد خلّد هذا الجسر ـ الفائز بجائزة نوبل، «ايفو اندريتش» في روايته «جسرعلى نهردرينا»(١٢١)

تقع مدينة «فيشي غراد» الى الشرق من «سراجيفو» على بعد «١٩١ كم» يبلغ عددسكان المدينة «٢٠٢ / ٢١» الف نسمة، ونسبة المسلمين فيها «٦٣٪»، ونسبة الصرب «٣٣٪»، واليوغسلاف «٤٪».

ان جسر فيشي غراد ، الحجري الكبير ، الثمين في بنائه ، الفريد في جماله، الذي لاتملك مثله مدن تتفوق على هذه المدينة تفوقا كبيرا في الثراء والتجارة... الحقّ ان هذا الجسر، هو الممر الوحيد الدائم المضمون ، على المجرى الاعلى والاوسط من نهر درينا، وهو العقدة اللازمة التي تربط بين البوسنة والصرب، وتربط من خلال الصرب، بين البوسنة وسائر أجزاء الامبراطورية العثمانية حتى «استانبول»، يبلغ طول الجسر نحوا من «مائتين

= الصيف، وانظر: البوسنة والهرسك (ص٢٢)

(١٢١) جسر على نهر درينا: رواية نال مؤلفها : ايفو أندريتش جائزة نوبل، تحكي روايته الطويلة منذ بني الجسر، ومارافق بناءه، من قصص ايام العثمانيين والنمساويين ، والالمان ، غير انه كان يبالغ ـ متهكما ـ بالحكم الاسلامي، مما يدل على الحقد الدفين للاسلام والمسلمين، وصور المسلمين البشناق اشنع تصوير معتمداً على الاكاذيب والخرافات. وقد شجعت السلطة الشيوعية اقتناء هذا الكتاب. رغم انه يحبذ القتل الجماعي ويشيد بالمذابح التي ذهب ضحيتها عشرات الألوف من البشناق المسلمين.انظر: الكتاب، ت . د. سامي الدروبي، دار النضال، بيروت «١٩٨٤ م». وانظر: الافعى اليهودية في معاقل الاسلام (ص١٢١ ـ ١٢٥).

وخمسين خطوة، وعرضه نحوا من عشر خطوات». اقيم الجسر في القرن السادس عشر ويعتبر من أجمل وأفخر الآثار الباقية من عصر (العثمانيين) في هذه المنطقة[١٢٢]. ويقع بجانب «فيشي غراد» منتجع طبيعي منذ القدم. وهو على ارتفاع ٤٢٦ م عن سطح البحر وبالقرب من هذا المنتجع ينساب «نهر درينا»المشهور بجسره التاريخي، تبلغ حرارة مياه هذا المنتجع المعدنية (٣٤) درجة مئوية ويسمى هذا المنتجع «فيشيغرادسكا بانيا[١٢٣]Višegradskabanja»

بيهاتش BIHAĆ

تقع مدينة «بيهاتش» على نهر «أونا» ، وهي مدينة بوسنوية قديمة ، ذات تاريخ غني، ترك لها كثيرا من المباني القيمة، وفي الحرب العالمية الثانية، ظهرت مرة اخرى على المسرح العالمي، حيث انعقد فيها مجلس التحرير الشعبي ليوغسلافيا، بتاريخ ١٤ ، ١٥ ذو القعدة ١٣٦١هـ و٢٦ ، ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) عام «١٩٤٢م» وكانت جلسته الأولى.

ان مدينة «بيهاتش» تطل على النهر الجميل «أونا» الذي سمي بحق «غادة كرايينا» ان مياهه الزمردية ومساقطها، تجعله فريدا- خاصة -لسباق القوارب «كاياك» على المياه السريعة[١٢٤].

تبعد بيهاتش عن العاصمة «سراجيفو» «٣٥٩ كم» ، نحو الشمال الغربي ، حيث تكون قريبة من الحدود مع جمهورية «كرواتيا» ، بلغ عدد سكانها في احصاء «١٩٩١ م» ، «٧٠/٨٩٦» الف نسمة منهم «٦٧٪» مسلمون، «١٩٪» صربيون، و «٧٪» كرواتيون، و «٧٪» يوغسلافيون[١٢٥].(وفي هذه

---

(١٢٢) انظر: حقائق عن البوسنة والهرسك (في الملاحق).
(١٢٣) انظر: يوغسلافيا (الحمامات المعدنية والمنتجعات المناخية(ص٢٦).
(١٢٤) انظر: البوسنة والهرسك (ص١٥٥ و ٧٣ على التوالي)

الحرب الاخيرة، تشرين أول ١٩٩٣ م قام «فكرت عبديتش» بالتمرد والانفصال عن الجمهورية مؤسّساً حكومة انفصالية في جيب بيهاتش، ممالئة لصربيا وكرواتيا، وقامت الحكومة المركزية بمجابهته، واعتبرت هذا العمل خيانة وطنية وضد مصالح جمهورية البوسنة والهرسك)

ميركو نيتش غراد MRKONJIĆ GRAD

هذه المدينة البوسنوية الصغيرة المسماة باسم «رنيني - مركونيتش غراد» في أوج الحرب الفدائية، يوم ٢٦ ذو القعده ١٣٦٢هـ «٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٣م» ، عقدت الجلسة الاولى لمجلس التحرير الشعبي القطري ، للبوسنة والهرسك... الذي اصبح في تلك الليلة الشتوية اعلى هيئة للحكم الشعبي.

وهكذا بعد عدة قرون ، أعادت بوسنة وهرسك - هنا - في «مركونيتش غراد» ، كيانها كدولة...[١٢٦]، «مركونيتش غراد» على بعد «٢١١ كم» الى الشمال الغربي من سراجيفو في الاعتداءات الصربية التي تجري من اوائل عام «١٩٩٢ م» لاقت هذه المدينة مجازر واعتداءات على سكانها المسلمين مما اضطر مابقي من مسلميها بالهجرة الى أماكن يستطيعون بها النجاة، منهم من هاجر الى النمسا[١٢٧]. ومنهم من وصل الى دمشق، احتلها الصرب في ذي القعدة ١٤١٢هـ ايار ١٩٩٢م، يبلغ عدد سكان «مركونيتش غراد» «٢٧/٣٧٩» الف نسمة ، منهم «١٢٪» من المسلمين، و «٧٧٪» من الصرب، و«٨٪» من الكروات، و «٣٪» يوغسلاف[١٢٨].

---

(١٢٥) انظر: مصور البوسنة والهرسك

(١٢٦) انظر: البوسنة والهرسك (ص١٥٥ و ٧٣ على التوالي).

(١٢٧) علمتُ هذا من شاب وزوجته وصلا الى دمشق، أما والداه فقد هربا الى النمسا. (المؤلف).

(١٢٨) مصور البوسنة والهرسك في الملاحق

أولتسيني ULCINJ

تقع مدينة «اولتيسني» في آخر ساحل يوغسلافيا على البحر الادرياتيكي، وهي من مدن جمهورية الجبل الاسود، يبلغ تعداد هذه المدينة حوالي «ستة آلاف نسمة».

في سنة ٩٧٩هـ «١٥٧١م» ، حدثت معركة بحرية عند «ليبانت[١٢٩]». وانهزم الاسطول العثماني، انهزاما مريعا امام اسطول الحلف المقدس، المؤلف من: فنيسيا (البندقية) والنمسا، روسيا، وبولندا. وبعد انتهاء المعركة مباشرة، وقعت مدينة «اولتسيني» تحت السيطرة العثمانية، فترك سكانها الاصليون مدينتهم ، وسمح «السلطان سليمان القانوني» للقرصان العربي «علي» ، بأن يوطّن رجاله في المدينة المهجورة، المدمرة، كدليل على العرفان بالجميل، والشكر من جانب السلطان العثماني ، مقابل الخدمات التي اداها له القرصان المشهور الذي كان قد اشترك في الحرب بصف العثمانيين، وفي المعركة المذكورة، لكن مساعدته لم تستطع ان تغير مصير الاسطول العثماني، الا ان القرصان «علياً» ورجاله من القراصنة ـ الشجعان ـ حاربوا بشرف من أجل الدولة العثمانية.

قبل القرصان بحماس، عرض السلطان العثماني، وكان معظم هؤلاء القراصنة من الجزائريين، فاستوطن حوالي «اربعمائة» منهم في مدينة «اولتسيني» اليوغسلافية وكان بينهم عدد كبير من الزنوج، ومنذ تلك الأيام، وحتى يومنا هذا[١٣٠]، والزنوج والعرب يتزاوجون ، وينجبون الاجيال

---

(١٢٩) ليبانت: Lepante مدينة في اليونان على خليج ليبانته،المنجد في الاعلام (ص٥٠٢)

(١٣٠) كان كثير من العناصر الالبانية العسكرية، وخاصة البحارة الذين يشكلون القوة الضاربة للنشاط البحري ـ اي الجهاد ـ بالمفهوم المحلي، والقرصنة بالمفهوم الغربي وبسبب هذا التداخل ، لقد كان من الطبيعي ان ينتقل بعض الجزائريين الى =

المتلاحقة.. اذا زرت هذه المدينة الجميلة الساحلية، لابد وأن ترى مواطنين سود البشرة، أو بشرتهم سمراء... ومما يزيد الدهشة ان بعضهم يدينون حتى الآن بالاسلام، ويعرفون اللغة العربية، وبعضهم يعرف بشكل مؤكد وقاطع أنه من أصل عربي أو إفريقي[١٣١] مدينة «اولتسيني» ذات طابع شرقي، فيها مسجد وكانت مقرا للباشا العثماني، وفيها برج من نوع أبراج البندقية، شاطئها رملي، وهي آخر مرفأ يوغسلافي قبل البانيا، على البحر الادرياتيكي.

تطور التعليم والثقافة الاسلامية في «اولتسيني»

بعد فتح «اولتسيني» سنة ٩٧٩هـ «١٥٧١م»، اتى العثمانيون بالثقافة الاسلامية، ومناهج التعليم اليها، وكان التعليم الابتدائي يحصل في الكتّاب، وفي الغالب جرى باللغة العربية.

اضافة الى الكتّاب كانت اولتسين تضم مدرسة دينية، قام بالتدريس فيها علماء اولتسين المشهورين، ومن أشهرهم «الحافظ علي رضا اولتسانين».

توقفت هذه المدرسة عن العمل سنة ١٢٩٥هـ «١٨٧٨م».

من خلال العقد الاخير للقرن التاسع عشر، بدأت في «اولتسيني»، تعمل مدارس ابتدائية باللغات الالبانية، والتركية، والصربوكرواتية، وفي بداية

= الوسط الالباني، وان يؤدي هذا الى الاختلاط في الدم عن طريق الزواج... والى الآن بقي احفاد اولئك الجزائريين والجزائريات، الذين يتميزون بملامحهم وخاصة في «اولتسين» أو «اولشين»، انظر: الموقف الادبي العدد «٢٠٥ و ٢٠٦» أيار وحزيران ١٩٨٨ دمشق

(١٣١) انظر: مجلة العربي العدد ٢٧٣، ١٩٨١ (ص٨٢ - ٨٧).

القرن العشرين، فتحت مدارس خاصة[١٣٢].

بريزرن PRIZREN

بريزرن مدينة من مدن اقليم «كوسوفا» التي كانت في القرن التاسع عشر من أكبر المدن في البلقان ـ العاصمة القديمة لاقليم كوسوفا ـ ففي ذلك الوقت كانت المدينة تلفت النظر لعدة أمور:

ـ طفرة كبيرة في الحياة الاقتصادية، مع تطور الحرف الجديدة، وخاصة صناعة السيوف والبنادق ، التي كانت تقتصر على المسلمين فقط.

ـ ازدهار كبير للتجارة، التي قامت بدورها على الانتاج الحرفي ، حتى أن القوافل المحملة بالاسلحة، كانت تخرج من «بريزرن» لتصل الى مصر.

ـ انتشار الجوامع والمدارس العليا ، والمكتبات العامة، مما ادى الى ازدهار ثقافي لايوصف، حتى ان «بريزرن» اشتهرت في العصر العثماني باسم «مهد الشعراء» حيث برز فيها شعراء كانوا يتمتعون بشهرة كبيرة على مستوى الامبراطورية العثمانية[١٣٣].

ومدينة «بريزرن» ، المدينة المتحف، عاصمة الحكم العثماني، مازالت تحتفظ ببصمات التاريخ ورائحته، ومنذ اوائل الخمسينات نقلت عاصمة

---

(١٣٢) انظر: البلاغ البوسنية، العدد «٦» نوفمبر وديسمبر (تشرين ثاني وكانون أول) ١٩٩١ م (ص٧٤١) والنص موجز عن المقال المطبوع باللغة البوسنية، بالاضافة الى موجز باللغة الانكليزية.

ملاحظة: لقد ورد في النص البوسني اسماء عدد من علماء «اولتسيني» وهم : بالاضافة للحافظ علي رضا ـ الحافظ يوسف سونجو Hafiz Yusuf cungo، الحافظ حسن مافريتش Hafz Hasan mavrić، و الحافظ سعيد مويالي Hafz said mujalji، الحافظ خليل هودجا Hafiz Halil Hodža

(١٣٣) الثقافة الألبانية في الابجدية العربية، عالم المعرفة العدد «٦٨» (ص٩٣).

«كوسوفا» من بريزرن الى «بريشتينا»، لان العاصمة القديمة كانت قريبة من الحدود الالبانية، في الوقت الذي كانت القطيعة قائمة بين ألبانيا ويوغسلافيا...لكن ضمير كوسوفا مازال يرقد في بريزرن العاصمة القديمة طوال خمسة قرون ، منارةالعلموالثقافة.(١٣٤)

يبلغ عدد سكان بريزرن «٣٥/٠٠٠» الف نسمة، وفيها آثار اسلامية وسبعة وعشرون مسجدا.

بريشتنا PRIŠTINA

اسمها القديم «فيكانوم» .. عدد سكانها «اثنا عشر الفا» منهم «سبعة آلاف» مسلم أما قضاء بريشتنا ، فيشمل «مائتين وثمان وخمسين» قرية.. أكثر من ثلثيهم مسلمون، وهي عاصمة اقليم كوسوفا ـ ذو الاستقلال الذاتي ضمن جمهورية صربيا ـ ويقع هذا الاقليم في جنوب يوغسلافيا ـ السابقة ـ وعلى الحدودالألبانية.(١٣٥)

تعد بريشتينا بوابة اقليم كوسوفا، وعاصمته ، ومقر السلطة والادارة. وهي عقل كوسوفا المفكر، والمدبر في حقيقة الأمر، لكن ضمير كوسوفا التاريخي مازال يرقد على بعد «سبعين» كيلومترا ، حيث مدينة بريزرن العاصمة القديمة طوال القرون الخمسة الماضية... في «بريشتينا» ، مقر المشيخة الاسلامية، التي تباشر ادارة النشاط الديني، المساجد والائمة اساسا، في جمهورية الصرب واقليمي كوسوفا وفويفودينا... ويدخل في

---

(١٣٤) انظر: مجلة العربي، العدد ٢٧٧ ، كانون الأول ١٩٨١م (ص٧٨).

(١٣٥) انظر: دائرة المعارف ـ بطرس البستاني (م٥ ، ص٣٢٨)، وبالنسبة لعدد سكان «بريشتنا» الآن، فهو : «خمسة وسبعون الفا» من السكان، انظر : المنجد في الاعلام (ط١٦ ، ص١٢٦).

نطاق مسؤولية مشيخة «بريشتينا» ، كما انه من بين «٢٧٠٠» مسجد في أنحاء يوغسلافيا ـ سابقا ـ ثمة «٦٧٠» مسجدا في دائرة اختصاص «مشيخة بريشتينا» ، كما انه من بين «١٩٥٠» من الأئمة في كل من يوغسلافيا، يتبع مشيخة بريشتنا «٥٠٠» إمام[١٣٦].

(في مدينة «بريشتنا» عدد من المعاهد، وجامعة بريشتنا التي تحوي عددا من الكليات في مختلف الاختصاصات أحدها «فرع الاستشراق» الذي افتتح عام ١٣٩٣هـ «١٩٧٣ م»).

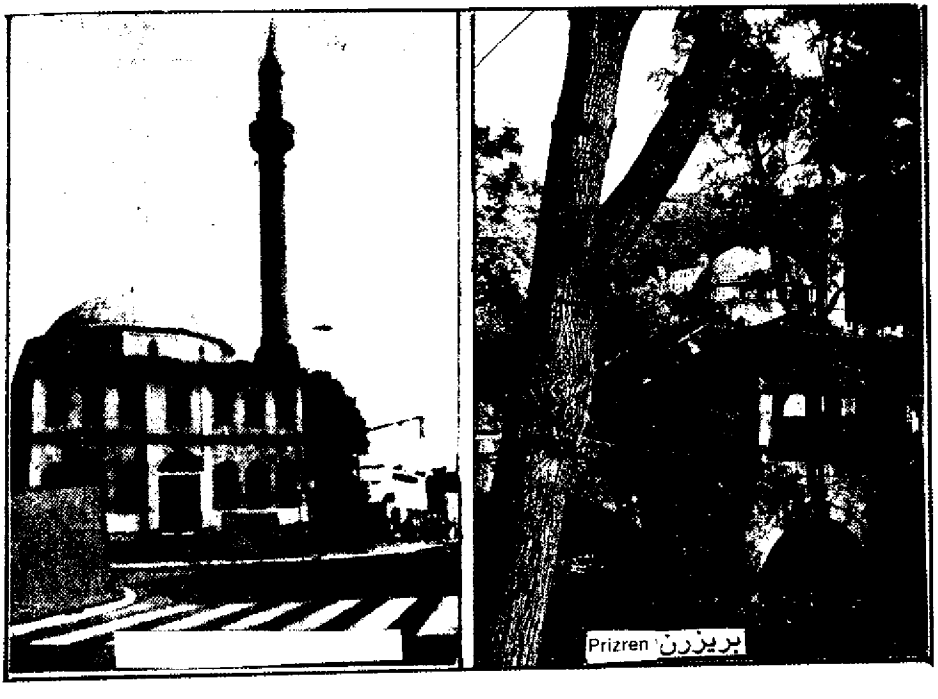

(١٣٦) انظر: مجلة العربي، العدد ٢٧٧ ، ١٩٨١، (ص٧٨ ـ ٧٩)

موستار
كيسليك
Kiseljak
سكوبيا
بانيالوكا
Ulcinj